موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(١٢)

التسامح

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com
موقع الدكتور مرزوق بن تنباك

دار رواح للنشر والتوزيع

(ح) مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٨-١٩٧-٣٨-٩٩٦٠ (ج ١٢)

١- الأدب العربي – موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمـك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٨-١٩٧-٣٨-٩٩٦٠ (ج ١٢)

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
توطئة	٥
التسامح لغةً	٧
التسامح اصطلاحاً	٨
التسامح ومترادفاته	٩
التساهل	١٢
التياسر واليسر	١٣
الغفران	١٥
الإسجاح	١٦
التجاوز	١٧
التسامح قيمة اجتماعية موروثة	١٨
أثر التسامح في الحياة الاجتماعية	٣٣
أثر التسامح في حياة الفرد	٣٦
التسامح مع الأصدقاء وأهل المودة	٣٧
التسامح قيمة حضارية	٤٦
التسامح في العبادات والأحكام	٥١
تسامح الإسلام في معاملة غير المسلمين	٥٤
التسامح والحلم	٦٩
كلمات أخيرة عن التسامح	٧٦
الفهارس	٨١

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

www.mtenback.com

توطئة:

عرفت العرب صفات الخير وأحبت من يتصف بها أو ببعضها وقد فرقت بين المحامد والصفات الخيِّرة إذ منها ما هو جامع للفضائل كلها ومنها ما هو فضيلة مفردة فالشجاعة فضيلة في معناها ودلالتها والكرم كذلك وقد لا يكون للشجاع صفة غيرها وكذلك الكريم بينما تكون هناك صفات شاملة عامة تحور أكثر من خلق وفضيلة ومنها خلق التسامح الذي يجمع أكثر من خصلة محمودة فالمتسامح يمتنع عن العدوان، وعن الظلم ويتجاوز مراحل الحقد البشري والبغض والعداوة فيرتفع عنها ويسمو بنفسه وبمن يخالطه حتى يرتفع عن هذه المنغصات فترضى نفسه ويرضى من يخالطه ويعامله.

ولا شك أن التسامح قيمة أخلاقية حضارية تبعث على نشر المحبة وتحقيق السلام، وهي ذات دلالة عالية على نضج الحس الإنساني في كل الحضارات وعند كل الشعوب.

والمطّلِع على تاريخ العرب منذ القديم يقف على أخبار عجيبة وحوادث نادرة في الدلالة على ما تتمتع به هذه الأمة من خصال النُّبْل ومكارم الأخلاق، ممّا جعلها حَرِيَّة أن تقود العالم ردحًا طويلاً من الدهر وتعلّم جاراتها من الأمم ضروب الكمال الإنساني، وتدلّها على طريق الحضارة التي يمتزج فيها العلم بالأخلاق والمباني مع المعاني!.

والسماحة قيمة وخلق محبوب لدى الناس كافة وهو صفة كريمة يحرصون عليها ويحفلون بها، ويحاول المنظرون للفضائل توصيف التسامح بأنه قمة رضى المرء عن نفسه، ومن يتعامل معه سواء كان هذا التسامح طبعًا وجبلة فيه أو هو مما تحمل عليه النفس، ويتكلفه المرء حتى يرضى من حوله وينال فضل التسامح وصفه السماحة ولأن

www.mtenback.com

الثقافة العربية قد رصدت في تراثها سلوك القيم ومكارم الأخلاق فقد كان للتسامح نصيب مما رصد وسجل في ميزان الفضل فأخذ التسامح مكانة بارزة في وجدانهم ولهج به حكماؤهم وشعراؤهم وأهل العلم منهم.

لذا نجد أن المتسامح سهل الخليقة لين الجانب يميل إلى حسن الظن بالناس ويحملهم على محامل الخير، وينظر في متشابه الأحوال فيجد لتسامحه سببًا من جبلته فيطمئن إلى عمله ويشجع غيره على أن يكون متسامحًا. وإذا قام هذا الخلق الحميد بين الناس وفي المجتمع ساد الحب وعمَّ التعاون الذي هو حتمية لخلق التسامح ونتيجة من نتائجه المحمودة.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

التسامح لغة:

التسامح في اللغة[1] هو التساهل واللين، وهو من: سَمَحَ، يَسْمَحُ، سَمْحًا وسَمَاحًا وسَمَاحَةً. والوصف منه سَمْح، وسَمْحَة.

وتوصف الشريعة بأنها (سمحة)، وفي مثل ذلك قال شاعر يرثي الأندلس ويذكر الإسلام بما هو أهل له[2]:

تَبْكِي الحَنِيْفِيَّةُ السَّمْحَاءُ مِنْ أَسَفٍ كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الإِلْفِ هَيْمَانُ[3]

وتقول العرب: «عليك بالحقّ فإن فيه لَمَسْمَحًا»، أي: فيه سهولة ويسر ومتّسع ومندوحة عن الباطل، قال ابن مقبل[4]:

وَإِنِّي لأَسْتَحْيِي – وَفِي الحَقِّ مَسْمَحٌ إِذَا جَاءَ بَاغِي الْعُرْفِ – أَنْ أَتَعَذَّرَا

ومن أمثال العرب: «أسمح من مُخّة الرِّير»[5]، والرِّير اسم (للمخّ) الذي ذاب في العظم، حتى كأنه خيط أو ماء، يقال: سماحه من حيث الذوبان، لأنه لايخوج إلى إخراجه. ومن الشواهد على التسامح بمعنى التساهل أو السهولة، ما قال الشاعر[6]:

---

(1) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرّم: لسان العرب، القاهرة، بولاق (١٣٠٠-١٣٠٨هـ)؛ الفيروزآبادي، مجدالدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، القاهرة، الأميرية، ط ٣، (١٣٠١، ١٣١٣هـ) ج ١، ص ٢٢٨. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، القاهرة، شركة الإعلانات الشرقية، ط ٣ (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ج١، ص٤٦٤.

(2) أمين، أحمد: ظهر الإسلام، القاهرة، النهضة المصرية، ط ٤، (١٩٦٦م)، ج٣، ص٢٨٦.

(3) الهيمان: المحبّ الشديد الوجد.

(4) ابن منظور: لسان العرب (سمح) ج ٣، ص٣٢٠.

(5) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد: مجمع الأمثال تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ط٣ (١٣٧٧هـ/١٩٥٥م)، ج١، ص٣٥٣.

(6) ابن منظور: لسان العرب (سمح) ج٣، ص٣١٩.

www.mtenback.com

وَلَكِنْ إِذَا مَا جَلَّ خَطْبٌ فَسَامَحَتْ بِهِ النَّفْسُ يَوْمًا كَانَ لِلْكُرْهِ أَذْهَبَا

ومن معاني السماح الجود والعطاء عن كرم وسخاء. وفلان سَمْح أي كريم سخيّ جواد. ولا ريب في أن المعنيين متقاربان، لأنّ الكريم السخيّ يتسامح ويتساهل فيمنح من ماله ما تجود به نفسه، مع صعوبة ذلك على كثيرين.

وقد روي أن أكثم بن صيفي سُئل: ما السماحة؟ فقال: بذل النائل، وحبّ السائل[٧].

التسامح اصطلاحًا:

تحدث مسكويه عن الفضائل التي يتألف منها السخاء، فذكر أن جميعها يكون بالإرادة والاختيار، وأن منها السماحة والمسامحة، وعرّف السماحة بأنها بذل بعض ما لا يجب، أما المسامحة عنده فهي ترك بعض ما يجب[٨].

وجعل بعضهم للسخاء أقسامًا فقال: اعلم أن السخاء على وجوه: سخاء في الدين وسخاء في الدنيا. فالسخاء في الدنيا البذل والعطاء والإيثار وسماحة النفس، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٩]. وعلامته ترك الادخار وبغض جمع المال وتعاهد الإخوان، مسروراً قلبه بذلك. والسخاء في الدين: أن تسخو نفسك بخدمته سماحة من غير كراهة[١٠].

---

[٧] الطرطوشي، محمد بن الوليد: سراج الملوك، القاهرة، المحمودية التجارية (١٣٥٤هـ/١٩٣٥م) ص١١٦.

[٨] مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد: تهذيب الأخلاق، القاهرة، ط مدرسة والدة عباس باشا، ط٢، (١٣٢٣هـ/١٩٠٥م)، ص١٩.

[٩] سورة الحشر: الآية ٩.

[١٠] الطرطوشي: سراج الملوك، ص ١٦٦.

www.mtenback.com

التسامح ومترادفاته:

يعد التسامح كما مرَّ معنا في معناه لغة وفي دلالته اصطلاحًا من أهم الأخلاق والخصال التي يطلبها الناس في المرء ويحبون أن تكون السماحة خلقًا وطبيعة في كل أنواع الصلات والمعاملات الشخصية والعامة.

وأكثر الأشعار على أنّ وصف الممدوح بالسماحة يعني وصفه بالجود والكرم، مثل قول شاعرٍ يمدح محمد بن القاسم الثقفي، فاتح السند والهند وهو ابنُ سبع عشرة سنة[11]:

إنَّ السَّمَاحَةَ وَالمُرُوْءَةَ والنَّدَى ... لِمُحَمَّدِ بْنِ القَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ

قَادَ الجُيُوْشَ لسَبْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً ... يَاقُرْبَ ذَلِكَ سُؤْدُدًا مِنْ مَوْلِدِ

وكان زهير بن أبي سُلمى يصف ممدوحيه بالسماحة، ويرادف بينها وبين الندى والبذل، قال يُثني على هَرِم بن سِنان[12]:

قَدْ جَعَلَ المُبْتَغُوْنَ[13] الخَيْرَ فِي هَرِمٍ ... وَالسَّائِلُوْنَ إِلَى أَبْوَابِهِ طُرُقَا

---

[11] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: عيون الأخبار، القاهرة، دار الكتب المصرية (١٣٤٣هـ/١٩٢٥م)، ج١، ص٢٢٩؛ وانظر التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد: البصائر والذخائر، تحقيق: د. إبراهيم الكيلاني، دمشق، الإنشاء (١٩٦٤م) ج٣، ص٦٧.

[12] زهير بن أبي سلمى، شعره، تحقيق: د.فخر الدين قباوة، بيروت، دار الآفاق، ط٣ (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م). ص٨٦؛ وانظر الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: الأغاني، القاهرة، مصورة الهيئة المصرية العامة للكتاب عن طبعة دار الكتب المصرية (١٩٩٢م) ج١٠، ص٢٩٩.

[13] المبتغون: الطالبون، على علاّته: على قلّة ماله، والمعنى أن طلاب المعروف يقصدون إلى هرم ويكثرون التردد عليه، وإن لقيته على قِلّة مالٍ أو عدم تجدْه سمحًا كريمًا، فكيف به وهو على غير تلك الحال؟ وقد وُصفت هذه المدائح بأنها مما سبق فيه زهير في مدح هرم، ولم يسبقه إليه أحد، الأصفهاني: الأغاني، ج١٠، ص٣٠٥.

www.mtenback.com

إِنْ تَلْقَ يَوْمًا عَلَى عِلاَّتِهِ هَرِمًا تَلْقَ السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقَا

وقال يمدح آل أبي حارثة المُرّي[١٤]:

عَلَى مُكْثِرِيْهِمْ رِزْقُ مَنْ يَعْتَرِيْهِمُ وَعِنْدَ المُقِلّيْنَ السَّمَاحَةُ وَالبَذْلُ

وأثنى جرير على ممدوحه، فذكر أنه فاق الكرماء الأجواد، قال[١٥]:

غَلَبَ المَسَامِيْحَ الوَلِيْدُ سَمَاحَةً وَكَفَى قُرَيْشَ المُعْضِلاتِ وَسَادَهَا

وقال آخر في المعنى نفسه[١٦]:

فِي فِتْيَةٍ بُسُطِ الأَكُفِّ مَسَامِحٍ عِنْدَ الفِضَالِ نَدِيْمُهُمْ لَم يدْثُرِ

ولأبي تمام بيت مشهور من قصيدة مدح بها أحمد بن المعتصم، قال[١٧]:

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَاسِ

وفي الحثّ على السماحة والسخاء، يُروى للإمام الشافعي[١٨]:

دَعِ الأَيَّامَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ وَطِبْ نَفْسًا إِذَا حَكَمَ القَضَاءُ

---

[١٤] زهير: شعره، ص٤٢؛ الأصفهاني، الأغاني، ج١٠، ص٣٠٦، على مكثريهم: على أغنيائهم، يعتريهم: ينزل بهم ويطلب معروفهم، المُقِلّ: قليل المال، والمعنى أن أغنياءهم يقومون بمن يقصدهم، كما يسخو فقراؤهم، ويبذلون بمقدار جهدهم وطاقتهم.

[١٥] ابن منظور: لسان العرب مادة (سمح) ج٣، ص ٣١٩.

[١٦] المصدر السابق نفسه. وهو أيضًا في مادة (دثر) والرواية فيه: «عند القتال قديمهم لم يدثر» أي حَسَبهم لم يَبْلَ ولا دَرَس؛ لسان العرب، ج٥، ص ٣٦١.

[١٧] أبو تمام، حبيب بن أوس: ديوانه، تحقيق: محمد عبده عزام، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٦٩م، ج٢، ص٢٤٩. ومن الأمثال قولهم: «أجود من حاتم» و «أجود من كعب بن مامة»، الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص ١٨٢-١٨٣. وعمرو هو ابن معد يكرب، والأحنف هو ابن قيس التميمي، وإياس هو ابن معاوية وكان قاضيًا بالبصرة.

[١٨] الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، (١٣٦٤هـ/١٩٤٣م): جواهر الأدب القاهرة، التجارية الكبرى (١٩٦٩م) ج٢، ص٤٢٧.

www.mtenback.com

وَلا تَجْـزَعْ لِحَادِثَـــةِ اللَّيَـــالِيْ فَمَـا لِحَـوَادِثِ الدُّنْيَـــا بَقَـــاءُ
وَكُنْ رَجُلاً عَلَى الأَهْـــوَالِ جَلْـدًا وَشِـيْمَتُكَ السَّـمَاحَةُ والسَّـــخَاءُ
يُغَطَّـى بِالسَّـمَاحَةِ كُـلُّ عَيْـــبٍ وَكَـمْ عَيْـبٍ يُغَطِّيْـهِ السَّـــخَاءُ
وَلاتَـرْجُ السَّـمَاحَةَ مِـنْ بَخِيْـلٍ فَمَـا فِـي النَّـارِ لِلظَّمْـآنِ مَـــاءُ

ومما جاء في الأمثال قولهم: أَسْمَحُ من لافظة[19]. وعليه قول الشاعر:

تَجُـوْدُ فَتُجْـزِلُ قَبْـلَ السُّـــؤَالِ وَكَفُّـكَ أَسْـمَحُ مِـنْ لافِظَـــهْ

ويكشف ما سبق عن الدلالات اللغوية لألفاظ: السماح والسماحة والتسامح وغيرها مما يتفق معها في مادتها اللغوية، أنها مترادفات ذات إيحاءات متنوعة، يدور معظمها حول معاني السهولة والتيسير والليونة واستواء النفس والتجرد من الالتواء والانقياد بعد الاستصعاب، والموافقة على المطلوب، والطاعة والذلّة لمن يحسُن الخضوع له، والرغبة في البذل والكرم والسخاء في حالي اليسر والعسر، والعفو الذي يتجاوز عن الزلّات.

ومن الأوفق الاكتفاء بالوقوف عند بعض هذه الدلالات، من مثل التساهل والعفو والتّجاوز عن الزلّات...، وهي في معظمها الدلالات التي تتبادر إلى أذهاننا، نحن المعاصرين، حين تصل لأسماعنا كلمة (التسامح).

ويبدو أن لكلمة التسامح مرادفات عديدة في معنى التساهل، منها: التياسر والعفو والصفح والغفران والإسجاح والتجاوز.

وفي الثقافة العربية الإسلامية مأثورات تتعلق بهذه المعاني، بعضها مستمد من القرآن الكريم والحديث الشريف، وبعضها من قبيل الأمثال والحكم والأقوال السائرة والحكايات والطرائف وغيرها مما يتمثّل به الناس ويتناقلونه.

---

[19] الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص٣٥٣. وذكر أنّ اللافظة هنا البحر لأنه يلفظ بالدرة أو الرحى، لأنها تلفظ ما تطحنه.

www.mtenback.com

وفيما يلي عرض موجز لبعض هذه المرادفات، إن يكن الحديث عن كلٍّ منهـــا موجزًا، فلعله يفي بغرض الاستدلال والبرهنة على الشيوع الطاغي لهذه القيمة في حياة العربي قديمًا وحديثًا.

التساهل:

السهل هو أيّ شيء يميل إلى اللين وقلّة الخشونة، والتسهيل هو التيسير، يقال في الدعاء: «سَهّل الله عليك الأمرَ أو لك» أي صيّره سهلاً، وخفّف عليك، والتساهل هو بعينه التسامح؛ فيوصف الرجل بأنه «سهل الخلق أو القياد أو المعاملة» إذا كان ليّنًـــا سلسًا سمحًا.

ومما يؤكد هذا التماثل في المعنى بين السهولة والسماحة، بيت شعريّ لعنترة بن شداد يخاطب به ابنة عمه عبلة قائلاً:

أَثْـنِي عَلَـيَّ بِمَـا عَلِمْـتِ فَـإِنَّنِي ... سَـهْلٌ مُخَـالَقَتِي إِذَا لَـمْ أُظْلَـمِ

وللبيت رواية أخرى مشابهة، وهي (سمح مخالطتي) بدلاً من (سهل مخالقتي)[٢٠] ويكاد المعنيان فيهما يتماثلان. فالشاعر يقول عن نفسه بأنه ليّن العريكة طيّب العِشـــرة حسن المصاحبة والمخالطة، لا يغضب أو يثور إلا إذا أصابه الضيم.

وقريبٌ من هذا المعنى قول أحد الشعراء[٢١]:

إِنِّي امْـرؤٌ سَـهْلُ الخَلِيْقَـةِ مَـاجِدٌ ... لاَ أُتْبِعُ النَّفْـسَ اللَّجُـوجَ هَوَاهَـا

---

[٢٠] عنترة بن شداد العبسي: شرح ديوانه، بيروت، دار الكتـــب العلميـــة، ط١ (١٤٠٥هـــ/١٩٨٥م) ص١٢٢.

[٢١] ابن منظور: لسان العرب (لجج) ج٣، ص١٧٧، لجّ في الأمر: تمادى عليه وأبى أن ينصرف عنـــه، فهـــو لجوج.

www.mtenback.com

التياسر واليسر:

ومما هو لصيق الصلة بمعاني (التسامح) و(التساهل)؛ لفظ (التياسر)، وفي الحديث الشريف: «تياسروا في الصداق» أي لا تبالغوا فيه ولا تغالوا. واليسر هو اللين والانقياد، ويسّره تيسيرًا بمعنى سهّله ووسّع عليه.

وذكر الماوردي أن من شروط المروءة: المياسرة، وجعلها نوعين: أحدهما العفو عن الهفوات وثانيهما المسامحة في الحقوق[٢٢].

العفو:

والتسامح عفو، لذا يقال: «سامحه بذنبه» أي عفا عنه، وبالمثل أيضًا يعدّ العفو تسامحًا، لذا عرّف اللغويون العفو بأنه التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطمس، وفي الحديث: «تعافوا الحدود فيما بينكم»، أي تجاوزوا عنها ولا ترفعوها إليّ، فإنيّ متى علمتها أقمتها[٢٣].

تجدر الاشارة إلى أن مادة «سمح» لم ترد في القرآن الكريم، لكن مرادفاتها في الدلالة جاءت فيه متنوّعة، تشير إلى معنى التجاوز والصفح عن العقوبة أو ترك المعاجلة بها، وإلى الإغضاء على الإساءة. وبهذه المعاني فسّر المفسرون الآيات القرآنية التي ورد فيها ما يتعلّق بالعفو ومشتقاته[٢٤].

---

[٢٢] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد: أدب الدنيا والدين، تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة، الحلبي، ط٤، (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) ص٣٢١، ٣٢٤.

[٢٣] رواه أبو داود في كتاب الحدود، الباب ٦، حديث رقم ٤٣٧٦.

[٢٤] انظر على سبيل المثال: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تفسيره المسمى «جامع البيان في تأويل القرآن»، القاهرة، دار الغد العربي (١٤١٥- ١٤١٧هـ/١٩٩٥-١٩٩٦م): تفسير الآية ٥٢ من سورة البقرة (ج١، ص٤١٤). تفسير الآية ١٥٥ من سورة آل عمران (ج٣،ص٦٤٥). تفسير الآية ١٥ من سورة المائدة (ج٤، ص٥٥٦). وقد ورد لفظ «عفا» بصورة الفعل الماضي في البقرة، آيات ٥٢، ١٧٨-١٨٧، آل عمران، الآيتان ١٥٢، ١٥٥، النساء، آية ١٥٣- المائدة الآيتان ٩٥، ١٠١، التوبة، آية ٤٣ الشورى، آية ٤٠. وبصورة المضارع في: البقرة، آية ٢٣٧، النساء، الآيتان ٩٩، ١٤٩، المائدة، آية ١٥، التوبة آية ٦٦، النور، آية ٢٢، الشورى، آيات ٢٥،٣٠، ٣٤، التغابن، آية ١٤. وبصورة الأمر أو الدعاء في البقرة، الآيتان١٠٩،٢٨٦، آل عمران، آية ١٥٩، المائدة، آية ١٣.

www.mtenback.com

وتزخر المكتبة العربية بمؤلفات تتحدث عن العفو وما يقاربه من القيم كالصفح والاعتذار[٢٥]، وفي المأثورات الحكمية إشراقات كثيرة تتحدث - في مجال إزجاء النصائح والإرشادات الهادية - عن العفو، فتلحّ في الحثّ عليه مثل: «إن من مكارم أخلاق أهل الدنيا والآخرة أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمّن ظلمك»[٢٦]، وذلك كله تسامح؛ فالخير كلّ الخير في ألاّ نعامل بالمثل من تركنا وهجرنا وقطع رحمه أو مودّته، بل الأفضل أن نصلهم ونرفق بهم ونراعي أحوالهم، والخير ألاّ نبخل بعطائنا وعوننا على من منعوا عنا ما كان حقًا من مال أو عطف أو غوث.

الصفح:

ومما يؤدّي معنى (العفو) وربما يغني عنه: لفظ (الصفح). وقد ورد اللفظان متتابعين في بعض الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢٧]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾[٢٨].

ويقال عفا عن ذنبه عفوًا أي صفح، وصفحت عن ذنب فلان أي أعرضت عنه فلم أؤاخذه، والصفوح هو الكريم لأنه يصفح عمنّ جنى عليه وفي حديث عائشة رضي الله عنها تصف أباها أبا بكر رضي الله عنه أنه صَفُوح عن الجاهلين أي كثير

---

[٢٥] في المصادر القديمة إشارات إلى مؤلفات غايتها هذا الموضوع وحده، منها كتاب العفو والاعتذار لأبي الحسين أحمد بن نجيح، وكتاب العفو والصفح لأبي عاصم النبيل، ابن النديم، محمد بن إسحاق بن محمد: الفهرست، القاهرة، الرحمانية (١٣٤٨هـ) ص٢٤٢ -٢٤٣. وعن محاسن العفو، انظر البيهقي، إبراهيم بن محمد: المحاسن والمساوي، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، (١٩٩٦م)، ج٢، ص٢٩٣-٣٠٧.

[٢٦] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص ٤٥٧.

[٢٧] سورة المائدة: آية ١٣.

[٢٨] البقرة، آية ١٠٩، وعن الصفح عامةً انظر سورة النور، آية ٢٢؛ الزخرف، آية ٨٩ الحجر، آية ٨٥.

www.mtenback.com

الصفح والعفو والتجاوز عنهم، أما الصفوح في صفة الله تعالى فمعناه العَفُوّ عن ذنوب العباد، المعرِض عن مجازاتهم بالعقوبة تكرّمًا[٢٩].

وقد كثر الافتخار بصفة الصفح عن زلّات الآخرين، ومن أمثلة ذلك قول محمود الوراق متأمّلا مَنْ حوله من أصناف البشر[٣٠]:

سَأُلْزِمُ نَفْسِي الصَّفْحَ عَنْ كَلِّ مُذْنِبٍ ... وَإِنْ عَظُمَتْ مِنْهُ عَلَيَّ الجَرَائِمُ
فَمَا النَّاسُ إِلاَّ وَاحِدٌ مِنْ ثَلاثَةٍ ... شَرِيْفٌ وَمَشْرُوْفٌ وَمِثْلٌ مُقَاوِمُ
فَأَمَّا الَّذِي فَوْقِي فَأَعْرِفُ قَدْرَهُ ... وَأُتْبِعُ فِيْهِ الحَقَّ وَ الحَقُّ لازِمُ
وَأَمَّا الَّذِي دُوْنِي فَإِنْ قالَ صُنْتُ عَنْ ... إِجَابَتِهِ نَفْسِي وَإِنْ لامَ لائِمُ
وَأَمَّا الَّذِي مِثْلِي فَإِنْ زَلَّ أَوْ هَفَا ... تَفَضَّلْتُ إِنَّ الحُرَّ بِالفَضْلِ حَاكِمُ

الغفران:

ومما يشبه «العفو» و«الصفح»؛ لفظ «المغفرة» أو «الغفران»، وقد تتابع الثلاثة في قوله جلّ جلاله: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٣١].

وأصل الغَفْر: الستر والتغطية، فمعنى غفر الله ذنوبه: ستره وعفا عنه. والغفور والغفّار – وهما من أبنية المبالغة – معناهما الساتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم[٣٢]. وقد ورد لفظ «غفور» تاليًا للفظ «عفوّ» في بعض الآيات القرآنية، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[٣٣].

---

[٢٩] ابن منظور: لسان العرب، مادة (صفح) ج٣، ص ص٣٤٦، ٣٤٧.

[٣٠] الأبشيهي، محمد بن أحمد بن منصور: المستطرف، ج١، ص٤١٨.

[٣١] سورة التغابن: آية ١٤.

[٣٢] ابن منظور: لسان العرب (غفر) ج٦، ص٣٢٩؛ مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط (غفر) ج٢، ص٦٨٠.

[٣٣] سورة الحج : آية ٦٠؛ وانظر: النساء، آية ٤٣، والمجادلة، آية ٢.

www.mtenback.com

ويقال: استصفحه ذنبه، بمعنى استغفره إياه وطلب أن يصفح له[٣٤].

وفي القرآن الكريم أكثر من مائتين وثلاثين موضعًا ورد فيها ألفاظ المغفرة ومشتقاتها، وتدور معانيها حول التغمّد بالرحمة وستر الخطايا وترك العقوبة عليها[٣٥]، منها قوله تعالى في الثناء على من يغفرون عند الغضب: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[٣٦].

ومن المأثورات التي تضمنت معنى الغفران صراحة واستحسان فعله، قول خالد ابن صفوان حين سئل عن أحب إخوانه إليه: «الذي يَغْفر زَلَلي، ويقبل عِللي، ويَسُدّ خَللي»[٣٧].

الإسجاح:

والإسجاح هو السهولة والرفق وحسن العفو، يقال: «مشية سُجُح» أي سهلة.

ومن الحكم الشائعة قولهم: «إذا سألت فأَسْجِحْ» أي سهّل ألفاظك وارفق.

ومن الأمثال السائرة: «ملكتَ فأسْجِحْ»، ومعناه: قَدَرْتَ فسهِّل، وظفرتَ وملكتَ الأمر عليّ فأحسن العفو عنّي. وهذا المثل مرويّ عن عائشة قالته لعليّ رضي الله عنه حين ظهر على الناس، ودنا من هَودْجها، ثم كلّمها بكلام فأجابته: ملكتَ فأسجح، فجهّزها عند ذلك بأحسن جهاز إلى المدينة[٣٨].

---

[٣٤] ابن منظور: لسان العرب (صفح) ج٣، ص٣٤٦.

[٣٥] انظر على سبيل المثال: الطبري: تفسيره، تفسير الآية ٥٨ من سورة البقرة: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾، ج١، ص ٤٤٩. وراجع عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة، (د.ت) مادة (غفر) ص٤٩٩-٥٠٣.

[٣٦] سورة الشورى: آية ٣٧.

[٣٧] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص١٦، العلل: الأعذار.

[٣٨] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص٢٨٣؛ ابن منظور: لسان العرب (سجح) ج٣، ص٣٠٤.

www.mtenback.com

والخلق السَّجِيح هو اللّين السهل، رُوي أن رجلاً قال للأحنف بن قيس: «دُلّني على مَحْمَدة بغير مرزأة، قال: الخلق السجيح، والكفّ عن القبيح، واعلم أنّ أدوأ الداء اللسان البذيّ والخلق الرديّ»[٣٩].

التجاوز:

وفيه معانٍ من التسامح، يقال: تجاوز الله عنه أي عفا عنه و لم يؤاخذه، ومثله في المعنى: جاوز وتجوّز[٤٠]. قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾[٤١]، أي يصفح لهم عن سيئات أعمالهم التي عملوها في الدنيا فلا يعاقبهم عليها[٤٢].

وفي الحديث: «إن الله تجاوز عن أمّتي ما حدثت به أنفسها»[٤٣] أي عفا عنها.

ويقال: تجاوز عن الشيء أي أغْضى[٤٤]، وتجوّز في صلاته أي خفّف، ومنه الحديث: «أسمع بكاء الصبيّ فأتجوّز في صلاتي»[٤٥] أي أخفّفها وأقلّلها، ومنه أيضًا: «تجوّزوا في الصلاة» أي خفّفوها وأسرعوا بها[٤٦].

---

[٣٩] الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص٢٢٠، المحمدة: ما يحمد به المرء، المرزأة: المصيبة، ويقال: رزأه مالاً أي أصاب منه شيئًا فنقصه، البذيّ: المفحش في منطقه، الرديّ: الفاسد المكروه.

[٤٠] ابن منظور: لسان العرب (جوز) ج٧، ص١٩٣.

[٤١] سورة الأحقاف: ١٦.

[٤٢] تفسير الآية ١٦ من سورة الأحقاف في الطبري: تفسيره، ج١١، ص ٣٠٧.

[٤٣] رواه الإمام أحمد بن حنبل، في مسند أبي هريرة، ج٢، ص٤٧٤.

[٤٤] ما سبق جميعه نقلاً عن ابن منظور: لسان العرب (جوز) ج٧، ص١٩٣، والإغضاء هو السكوت والصبر، المصدر نفسه (غضى) ج١٩، ص ٣٦٤، وعن محاسن الإغضاء ومساويه انظر البيهقي: المحاسن والمساوي، ج٢، ص ص٢٤٠، ٢٤٣.

[٤٥] رواه البخاري في كتاب الأذان، باب ٦٥، من أخفّ الصلاة عبد بكاء الصبي.

[٤٦] ابن منظور: لسان العرب (جوز) ج٧، ص١٩٣، ١٩٤، والتخفيف: إزالة المشقة، وضدّه التثقيل، المصدر السابق، (خفف) ج١، ص٤٢٨.

www.mtenback.com

ويقول الشاعر داعيًا إلى التجاوز[٤٧]:

أَقْرِرْ بِذَنْبِكَ ثُمَّ اطْلُبْ تَجَاوُزَهُمْ عَنْهُ فَإِنَّ جُحُودَ الذَّنْبِ ذَنْبَانِ

ولو ظلّ المستقصي يتتبّع تلك المترادفات من مثل السهولة واليسر والعفو والصفح والغفران والإسجاح والتجاوز والإغضاء وغيرها مما يحمل معاني التسامح، لوجد الكثير مما ينحو منحاها، ويكشف عن خصائص الثقافة الإسلامية العربية، ومزاج الإنسان الذي يحمل هذه الثقافة ويعدّ نتيجة من نتائجها، وقد كانت تلك الخصائص جزءًا من سماته النفسية، توجّه سلوكه وتضعه في موضعه المتسامي، الذي هو أهل له، وسط ثقافات أخرى سبقته أو لحقت به، وظلّت على مرّ العصور ملازمة له لاصقة.

التسامح قيمة اجتماعية موروثة:

ولقيمة التسامح جذور راسخة في الحياة العربية قبل الإسلام، إلى جانب قيم أخرى كثيرة تدل عليها المكارم والسجايا المختلفة، مثل: الشجاعة والنجدة والعفة والذكاء والفراسة وحفظ الجوار والبرّ بالأقارب وبالعشيرة، وغير ذلك من المحامد أو المحاسن أو المناقب أو الصفات الطيبة، وجميعها من سمات العقلاء الحكماء من الرجال والنساء. وقد كانت قبل الإسلام قانونًا عربيًا اجتماعيًا يهتم بها العرب ويحرصون عليها ويمدحون فاعلها ويذمون من تخلى عنها أو يفرط في شيء منها.

وقد اعتزّ شاعر من بني أسد بفضائله المتأثّلة، فخصّ التسامح منها بالذكر، ولكنه استهل قصيدته بمجموعة من الفضائل الأخرى، فقال[٤٨]:

وَإِنِّي لأَسْتَغْنِي فَمَا أَبْطَرُ الغِنَى وَأُعْرِضُ مَيْسُورِي عَلَى مُبْتَغِي قَرْضِي

---

[٤٧] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص٤١٧.

[٤٨] السيب: العطاء، الحيازيم: جمع الحيزوم وهو الصدر أو وسطه. البطر: الاستخفاف بالنعمة وكرهها، الميسور: مصدر على وزن مفعول: اليُسْر.

www.mtenback.com

وَأُعْسِرُ أَحْيَانًـــا فَتَشْـتَدُّ عُسْـرَتِي وَأُدْرِكُ مَيْسُوْرَ الغِنَى وَمَعِي عِرْضِـــي
وَأَبْذُلُ مَعْـــرُوْفِي وَتَصْفُـــو خَلِيْقَتِـــي إِذَا كَدِرَتْ أَخْلاَقُ كُلِّ فَتًى مَحْضِ[٤٩]
وَلَكِنَّـــهُ سَـــيْبُ الإِلَـــهِ وَرِحْلَتِـــي وَشَدِّي حَيَـــازِيْمَ المَطِيَّـــةِ بِـــالغَرْضِ

ومعناه أنّه إذا اغتنى لا يتكبّر على غيره، وإذا افتقر لا يمنع القليل مما عنده على من يطلبه، وأنه يحافظ على الذكر الطيب والثناء الجميل، ويتجنّب الدناءات ويتحمّـــل ما يلقاه من مشقّات الحياة، فلا يشكو أحدًا، ويبذل معروفه فلا تشوب الأكدار خلقه ثم يذكر أن يسره واتساع أرزاقه إنما هو من عطاء الله وفضله ونتاج سفره وترحاله.

وفصّل الشاعر بعد ذلك في وصف تسامحه، فقال:

وَأَسْتَنْقِذُ المَوْلَـــى مِـــنَ الأَمْـــرِ بَعْدَمَـــا يَزِلُّ كَمَا زَلَّ البَعِيْرُ عَنِ الدَّحْـــضِ[٥٠]
وَأَمْنَحُـــهُ مَـــالِي وَوُدِّي وَنُصْرَتِـــــي وَإِنْ كَانَ مَحْنِيَّ الضُّلُوْعِ عَلَى بُغْضِـــي
وَيَغْمُرُهُ حِلْمِـــي وَلَـــوْ شِـــئْتُ نَالَـــهُ قَوَارِعُ تَبْرِي العَظْمَ عَنْ كَلِمٍ مَـــضِّ[٥١]
وَأَقْضِي عَلَى نَفْسِي إِذَا الأَمْـــرُ نَـــابَنِي وَفِي النَّاسِ مَنْ يُقْضَى عَلَيْهِ وَلاَ يَقْضِي[٥٢]

يقول إنه ينتشل حليفه – أيّا كان – من ورطاته، ويمنحه المال والنصرة والمودّة، على الرغم مما كان من أخطائه وزلاّته وما اشتَمَلَتْ عليه ضلوعه من الحقد والبغـــض، وذلك لأن الشاعر يتسامح مع قدرته – لو أراد – على أن يكفّ ذلك المبغض الكـــاره ويكبحه بما يعاقبه عقابًا موجعًا، وهو في ذلك يحكّم عقله ويزن الأمور بميزانها العادل.

---

[٤٩] المَحْض: الخالص.

[٥٠] المولى: الصاحب أو الحليف أو القريب ، يزلّ: يزلق، الدحض: المكان الزلق.

[٥١] القوارع: ما يكفّ ويكبح، المضّ: الحادّ المؤلم.

[٥٢] أقضي: أحكم.

www.mtenback.com

ثم مضى الشاعر يتباهى بتسامحه ولين خلقه، فقال:

وَلَسْتُ بِذِي وَجْهَيْنِ فِيمَنْ عَرَفْتُهُ ... وَلاَ البُخْلُ فَاعْلَمْ مِنْ سَمَائِي وَلاَأَرْضِي[٥٣]

وَإِنِّي لَسَهْلٌ مَا تُغَيِّرُ شِيمَتِي ... صُرُوْفُ لَيَالِي الدَّهْرِ بِالفَتْلِ والنَّقْضِ[٥٤]

أَكُفُّ الأَذى عَنْ أُسْرَتِي وَأَذُوْدُهُ ... عَلَى أَنَنِي أَجْزِي المُقَارِضَ بِالقَرْضِ[٥٥]

وَأُمْضِي هُمُومِي بِالزِّمَاعِ لأَهْلِهَا ... إِذَا مَا الهُمُوْمُ لَمْ يَكَدْ بَعْضُهَا يَمْضِي[٥٦]

وفي هذا القسم الأخير من القصيدة يقول مفاخرًا: إنه لا يصانع أحدًا ولا يبخل بالكثير أو بالقليل مما عنده، فهو سمح الخلق يظل على ذلك مهما اضطرب الزمان وتقلّبت حالاته، وهو يدافع عن أهله ويذود عنهم الشرور ويجازي كلاً بما يكافئه، ويواجه الهموم مهما بلغت شدّتها واستمرّت مقيمة لا تبرح، مواجهة فيها العزم الأكيد والثبات الراسخ.

وفي الشعر العربي - وهو ديوان العرب وسجل مآثرهم - نماذج متنوعة في التنويه بالتسامح والتفاخر، ومنه قصيدة ذائعة للمقنّع الكندي، تحدّث فيها عن نفسه حديثًا طويلا، فذكّر الناس بنبله ورحمته وخفض جناحه لبني قومه، وفاخر بتسامحه حين نأى بنفسه عن ذمّهم، كلّ ذلك بمعان رائقة وصياغة دقيقة وإيقاع مجلجل آسر، قال:

يُعَاتِبُنِي فِي الدَّيْنِ قَوْمِي وَإِنَّمَا ... دُيُونِيَ فِي أَشْيَاءَ تُكْسِبُهُمْ حَمْدَا

---

[٥٣] ذو الوجهين: الذي يلقى هذا بوجه وذاك بوجه، أي مَن يُخفي خلاف ما يُظْهِر.

[٥٤] يقال: فتل فلان الحبل فتْلاً أي لواه وبرمه، أما نَقَضه نَقْضًا فمعناه حَلّ طاقاته.

[٥٥] قارضه: جازاه خيرًا أو شرًا، وهو في الشرّ أغلب.

[٥٦] الزِّماع: المضاء في الأمر والعزم عليه. وانظر القصيدة في: أبوتمام، حبيب بن أوس: ديوان الحماسة، نشر: محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، محمد علي صبيح (١٣٧٤هـ/١٩٥٥م) ج٢، ص٣٩، ٤٢.

www.mtenback.com

أَسُدُّ بِهِ مَـــا قَـــدْ أَخَلُّـــوا وَضَيَّعُـــوا ... ثُغُورَ حُقُوقٍ مَا أَطاقُوا لَهَا سَـــدَّا[٥٧]

وَفِي جَفْنَةٍ ما يُغْلَـــقُ البَـــابُ دُونَهَـــا ... مُكَلَّلَـــةً لَحْمًـــا مُدَفَّقَـــةً ثَـــرْدَا[٥٨]

وَفِـــي فَـــرَسٍ نَهْـــدٍ عَتِيـــقٍ جَعَلْتُـــهُ ... حِجَابًا لِبَيْتِي ثُمَّ أَخْدَمْتُـــهُ عَبْـــدَا[٥٩]

وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِـــي وَبَيْـــنَ بَنِـــي أَبِـــيْ ... وَبَيْنَ بَنِـــي عَمِّـــي لَمُخْتَلِـــفٌ جِـــدّا

فَإِنْ أَكَلُوا لَحْمِي وَفَـــرْتُ لُحُومَهُـــمْ ... وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُم مَجْدَا[٦٠]

وَإِنْ ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفِظْـــتُ غُيُوبَهُـــمْ ... وَإِنْ هُمْ هَوَوا غَيِّي هَوِيْتُ لَهُمْ رُشْدَا[٦١]

وَإِنْ زَجَرُوا طَيْرًا بِنَحْسٍ تَمُـــرُّ بِـــي ... زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا تَمُرُّ بِهِمْ سَـــعْدَا[٦٢]

وَ لا أَحْمِلُ الحِقْـــدَ القَدِيْـــمَ عَلَيْهِـــمُ ... وَلَيْسَ رَئِيسُ القَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الحِقْـــدَا

لَهُمْ جُلُّ مَالِي إِنْ تَتَـــابَعَ لِـــي غِنَـــىً ... وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أُكَلِّفْهُـــمُ رِفْـــدَا[٦٣]

ويبدو من ذلك أن الشاعر قد بلغ شَاوًا كبيرًا في التسامح، فهو يقـــابل عتـــاب قومه بالصفح، مع إقناعهم بأنّ ما صنعه دفاعٌ عنهم وحفاظٌ على أعراضهم وأنه أنفـــق المال وأطعم الضيفان من أجلهم.

---

(٥٧) أخلّوا: تركوا أو أجحفوا وقصّروا، الثغور: جمع الثغر، وهو الفُرجة في الجبل ونحوه، أو الموضع يُخاف هجوم العدّو منه، والمراد هنا مواضع الحقوق، أطاقوا: قدروا عليها.

(٥٨) الجفنة: القصعة، مكلّلة: عليها لحم كالإكليل، المدفقة: الممتلئة، والدفق هو الصب، الثرْد: فتّ الخبز

(٥٩) نهد: قويّ ضخم، عتيق: نجيب، الحجاب: الستر، ولعله يريد بقوله: جعله حجابًا، أنه جعل حصانـــه نصب عينيه وأكبر همّه، أخدمته: جعلت له خادمًا.

(٦٠) وفرت لحومهم بمعنى حمى أعراضهم وصانهم، والوفر هو الزيادة.

(٦١) الغَيّ: الضلال.

(٦٢) زجروا الطير: أثاروها ليتيمنوا بسنوحها أو يتشاءموا ببروحها.

(٦٣) الرفد: العطاء والصلة.

www.mtenback.com

وافتخر بأن خلائقه تختلف عن خلائق إخوته وأبناء عمومته، فهم إذا تمنوا له الشرّ والشقاء والبؤس، تمنّى هو لهم الخير والسعادة والهناء، ولذلك داراهم وواصلهم مهما جدّوا في هدمه وبالغوا في حسده، حتى إنهم إذا ما فعلوا في غيبته خلاف ما يرضاه فإنه لايقابل الإساءة بالإساءة، بل يرضيهم ويرشدهم ويحسن إليهم.

وأعلن الشاعر أنه ينسى حقدهم السالف، فليس من النبل أن يحقد السادة الرؤساء، وأنه كلما كثر ماله زاد بذله لأهله، أما إذا قلّ فإنه لا يطلب منهم عطاءً أو إحسانًا.

وقد تغنّى العربيّ بصلة القربى، وأعلى من شأن التسامح ومقابلة إساءات الأقارب بالإحسان والصفح، وفي هذا المعنى يقول محمد بن عبد الله الأزديّ:

وَلا أَدْفَعُ ابْنَ العمِّ يمشي عَلَى شَفَا ... وَإِنْ بَلَّغَتْنِي مِنْ أَذَاهُ الجَنَادِعُ[٦٤]

وَلَكِنْ أُوَاسِيْهِ وَأَنْسَى ذُنُوبَهُ ... لِتُرْجِعَهُ يَوْمًا إِلَيَّ الرَّوَاجِعُ

وَحَسْبُكَ مِنْ ذُلٍّ وَسُوْءِ صَنِيْعَةٍ ... مَنَاوَاةُ ذِي القُرْبَى وَإِنْ قِيْلَ قَاطِعُ[٦٥]

يقول الشاعر إنه يسامح ابن عمّه فيصفح عن ذنوبه وينساها، ويواسيه ويمنحه من ماله إلى أن يرجع إلى سابق مودّته وأخوّته، وإنه ليفعل ذلك مهما تمادى ابن العمّ في دواهيه، فمعاداة الأقارب - ولو كانوا قاطعين - من المساوي التي تؤدي إلى الضعف والإذلال.

وأكّد شاعر آخر هو مضرّس بن ربعي، أنهم يحافظون على ما بينهم وبين قومهم، فيصفحون عنهم إذا ما سفهوا وظهر منهم الجفاء، قال:

---

[٦٤] الشفا من كلّ شيء حرفه، و أورد ابن منظور البيت، وفسّر الجنادع بأنها حوادث الدهر وأوائل شرّه، لسان العرب (جندع) ج٩، ص ٤١٢.

[٦٥] المناواة: المعاداة، وناوأه: عاداه. أبوتمام: ديوان الحماسة، ج ١، ص٢٢٦-٢٢٧.

www.mtenback.com

إِنَّا لَنَصْفَحُ عَنْ مَجَاهِلِ قَوْمِنَا ... وَنُقِيمُ سَالِفَةَ العَدُوِّ الأَصْيَدِ[٦٦]

وَمَتَى نَخَفْ يَوْمًا فَسَادَ عَشِيْرَةٍ ... نُصْلِحْ وَإِنْ نَرَ صَالِحًا لاَ نُفْسِدِ

وَإِذَا نَمَوا صُعُدًا فَلَيْسَ عَلَيْهِمُ ... مِنَّا الخَبَالُ وَلاَ نُفُوْسُ الحُسَّدِ

وَنُعِيْنُ فَاعِلَنَا عَلَى مَا نَابَهُ ... حَتَّى نُيَسِّرَهُ لِفِعْلِ السَّيِّدِ

وَنُجِيْبُ دَاعِيَةَ الصَّبَاحِ بِثَائِبٍ ... عَجِلِ الرُّكُوْبِ لِدَعْوَةِ المُسْتَنْجِدِ

فَنَفُلُّ شَوْكَتَهَا وَنَفْثَأُ حَمْيَهَا ... حَتَّى تَبُوْخَ وَحَمْيُنَا لَمْ يَبْرُدِ

وَتَحُلُّ فِي دَارِ الحِفَاظِ بُيُوْتُنَا ... رُتُعَ الجَمَائِلِ فِي الدِّرِيْنِ الأَسْوَدِ

وقد افتخر الشاعر في هذه الأبيات بأنهم يتسامحون مع قومهم، أما العدوّ فإنهم يُذلونه ويقهرونه، كما افتخر أيضًا بأنهم خيّرون يصلحون الفاسد، ولا يفسدون الصالح، ولا يحسدون غيرهم على غناهم وصعودهم إلى درجات العلا.

ثم ألحّ في تعداد المفاخر، فذكر أنهم يسعفون ضعفاءهم حتى يصيروا من السادات، ويغيثون من يستنجد بهم وينصرونه، ويمنحون المحتاجين. ولم ينس الشاعر أن يفتخر بقوّة قومه ومنعتهم، فبيوتهم دائمًا آمنة محفوظة في حال الشدّة.

ومن حكايات العرب الطريفة التي تحمل في ثناياها معاني التسامح والعفو حكاية رواها واحد من الفُتّاك الصعاليك، وصف فيها احتياله ودهاءه، وما تعرّض له حين حاول إعمال حيلته لرجل من السادات، ولكنه أخفق، فقد استطاع الرجل أن يستخلص أمواله ويستنقذها.

تقول الحكاية إن أحد الفتاك كان معروفًا بالسَّرَق، سئل عن بعض عجائبه فقال: إنها لكثيرة، ومن أعجبها أنه كان لي بَعيرٌ لا يُسْبق، وكانت لي خيلٌ لا تُلحق،

---

[٦٦] المجهلة: ما يحمل الإنسان على الجهل وهو الجفاء والتسافه، السالفة: جانب العنق، الأصيد: المتكبّر المزهوّ بنفسه.

www.mtenback.com

فكنت لا أخرج فأرجع خائبًا، فخرجت يومًا فاحترشت ضبًّا، فعلّقته على قتبي، ثم مررت بخِباء سَرِيّ ليس فيه إلا عجوز[٦٧] فقلت: أخلقْ بهذا الخباء أن يكون له رائحة من غنم وإبل.

فلما أمسيت إذا بإبل مئة، فيها شيخ عظيم البطن، مُثَدَّن اللحم، ومعه عبد أسود وغد[٦٨]، فلما رآني رحّب بي، ثم قام إلى ناقة فاحتلبها، وناولني العُلْبَةَ، فشربت ما يشرب الرجل، فتناول الباقي فضرب به جبهته، ثم احتلب تسع أُنُق، فشرب ألبانهنّ، ثم نحر حُوارًا، فطبخه، ثم ألقى عظامه بيضًا، وحثا كومةً من بطحاء وتوسّدها، وغطّ غطيط البَكْر، فقلت: هذه والله الغنيمة[٦٩].

ثم قمت إلى فَحْل إبله فخطمته، ثم قرنته إلى بعيري، وصحتُ به، فاتّبعني الفحل، واتّبعته الإبل إربابًا به، فصارت خلفي كأنها حبل ممدود، فمضيت أبادر لثنيّة[٧٠] بيني وبينها مسيرة ليلة للمُسرع، فلم أزل أضرب بعيري بيدي مرةً، وأقرعه برجلي أخرى، حتى طلع الفجر، فأبصرت الثنيّة فإذا عليها سواد، فلما دنوت إذا أنا بالشيخ قاعدًا وقوسه في حجره، فقال: أضيفنا؟

قلت: نعم.

قال: أتسخو نفسُك عن هذه الإبل؟

---

[٦٧] احترش: صاد، وانظر في طريقة احتراش الضب، ابن منظور: لسان العرب (حرش) ج٨، ص١٦٧- القتب: الرحل الصغير على قدر سنام البعير، الخباء: بيت من وبر أو شعر أو صوف، سريّ: شريف.

[٦٨] مثدّن: مسترخ كثير ، الوغد: ضعيف الجسم أو الخادم بطعام بطنه.

[٦٩] الحوار: ولد الناقة، حثا التراب أي هاله وأرسله، البطحاء: تراب ليّن مما تجرّه السيول، غطّ في نومه: صات وردّد النفس في خياشيمه، البَكر: الفَتِيّ من الإبل.

[٧٠] خطمته: جعلت على أنفه خطامًا، وهو زمام يوضع على خطم الجمل أي أنفه أو مقدمته ليقاد به، قرنته: وصلته وشددته إليه، أربّت الناقة إربابًا: لزمت الفحل وأحبّته، الثنيّة: الطريق في الجبل.

www.mtenback.com

قلت: لا.

فأخرج سهمًا كأنّ نصلَه لسان كلب، ثم قال: أَبْصر بين أذني الضبّ.

ثم رماه فصدع[٧١] عظمه من دماغه، ثم قال: ما تقول؟

قلت: أنا على رأيي الأوّل.

قال: انظر هذا السهم الثاني في فِقرة ظهره الوسطى.

ثم رمى به فكأنما قدّره بيده، ثم وضعه بإصبعه، ثم قال: أرأيت؟

قلت: إني أحبّ أن أستثبت.

قال: انظر هذا السهم الثالث في عكوة ذَنَبه [٧٢]، والرابع - والله - في بطنك.

ثم رماه فلم يخطىء العكوة، فقلت: أنزل آمنًا؟

قال: نعم.

فنزلت، فدفعت إليه خطام فحله، وقلت: «هذه إبلك لم يذهب منها وبـــره»، وأنا أنتظر متى يرميني بسهم ينتظم[٧٣] به قلبي، فلما تنحّيت، قال: أقبلْ.

فأقبلت - والله - خوفًا من شرّه، لا طمعًا في خيره، فقال: أي هذا ما أحسبك جشمت ما جشمت إلا من حاجة.

قلت: أجل.

قال: فاقرن من هذه الإبل بعيرين، وامض لطيّتك [٧٤].

قلت: أما والله حتى أخبرك عن نفسك قليلاً.

---

[٧١] صدعه: شقّه أو كسره.

[٧٢] العكوة بفتح العين وضمها: أصل الذنب حيث عرى من الشعر من مغرز الذنب.

[٧٣] يقال: انتظم الأشياء، أي جمعها وضمّ بعضها إلى بعض، ورمى فلانٌ صيدًا فانتظم ساقيه، ويقـــال في البيتين من الشعر المتحدين في المعنى إنه ينتظمهما معنى واحد.

[٧٤] الطّيّة: الحاجة.

www.mtenback.com

ثم قلت: والله ما رأيت أعرابيًا قطّ أشدّ ضِرسًا[٧٥]، ولا أعدى رجلاً، ولا أرمى يدًا، ولا أكرم عفوًا، ولا أسخى نفسًا منك!![٧٦].

وهذه الحكاية خصبة المعاني لها دلالات وافرة متشعبة، ولكن المهمّ في معرض الحديث عن التسامح أن ذلك الرجل الشريف السريّ عفا عن اللصّ الخارب، وكأنه قد أحسّ أنه إنما سرق لعوزه وحاجته فعطف عليه، على الرغم من أن السرقة في ذاتها فعل شائن يستحق أن يُعاقب مقترفها.

سبق القول بأن المجتمعات العربية في الجاهلية كانت لها مآثر أقرّها الإسلام ورضيها للناس على هدي من تعاليم آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر تهذّب ما يحتاج إلى التهذيب وتصقل ما يتطلب الصقل وتنفي ما لا حاجة إليه، فصار الإنسان مؤهّلاً لتحمل تبعات المسؤولية الإنسانية، يقوّيه على ذلك إيمان راسخ ويقين قويّ واقتناع بالقيم الأخلاقية التي تصعد به في مدارج الآدميّة درجات عالية ترفع شأنه وتعلي خلق المروءة التي كانت خصلة محمودة من خصال العرب.

والمأثورات كثيرة في تحبيذ التسامح وتفضيله، وفي التنفير من الغضب والحثّ على اجتنابه. من ذلك ما رُوي من أن أبابكر رضي الله عنه شتمه رجل، والنبيّ ﷺ شاهد فعفا أبوبكر عنه ساعة، ثم جاش به الغضب فردّ عليه. فقام النبي ﷺ فاتّبعه أبوبكر، فقال: يا رسول الله، شتمني الرجل فعفوت وصفحت وأنت قاعد، فلما أخذت أنتصر قمت يا نبيّ الله!!، فقال النبي ﷺ: إنه كان يردّ عنك ملك من الملائكة، فلما قربت تنتصر ذهب الملك وجاء الشيطان، فوالله ما كنت لأجالسَ الشيطانَ يا أبا بكر[٧٧].

---

[٧٥] الضِرس: العضّ الشديد أو غضب الجوع.

[٧٦] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص١٧٧-١٧٨.

[٧٧] الطبري: تفسيره، ج١١، ص١٢٠-١٢١.

www.mtenback.com

وفي قصة أخرى ضرب أبوبكر المثل الكبير في توجيه الأبناء إلى الطريقة المثلى في التسامح والإغضاء، فقد روي أنه مرّ بابنه عبد الرحمن، وهو يُماظّ جاره «أي يُخاصمه ويُشاتمه أو يُشارُّه ويُنازعه»فقال: لا تُماظّ جارك، فإن العُرْف يبقى ويذهب الناس[٧٨].

وربما كان ذلك الجار لسوء طبعٍ فيه يستحق هذه المخاصمة أو المنازعة، ولكن الأفضل – مع مثل هذا الجار – هو التحمّل وسعة الصدر والضرب صفحًا عما يمكن التغاضي عنه. ومثل هذا التوجيه من أبي بكر لابنه إنما هو قبس من الإسلام يحثُّ على العفو. رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: من كان أجرُه على الله فليدخل الجنّة، فيقال: من ذا الذي أجره على الله؟ فيقوم العافون عن الناس يدخلون الجنّة بغير حساب»[٧٩].

وبعد انقضاء عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين كان المسلمون يستنّون بسنن دينهم في الحثّ على التسامح والعمل به.

ومن الحكايات الدالّة على استشراف النفوس إلى التسامح وتطامنها إلى ما يذكّرها به، ما روي من أن جارية ميمون بن مهران جاءت ذات يوم بصحفة فيها مرقة حارّة، وعنده أضياف، فعثرت، فصبّت المرقة عليه، فأراد ميمون أن يضربها، فقالت الجارية: يا مولاي استعمل قوله تعالى: والكاظمين الغيظ.

قال لها: قد فعلت.

فقالت: اعمل بما بعده: والعافين عن الناس.

---

[٧٨] الميداني: مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٤٥١. ووردت القصة أيضًا في لسان العرب لابن منظور (مظظ) ج٩، ص ٣٤٤.

[٧٩] القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد: «الجامع لأحكام القرآن»، دار الغد العربي، ط٥ (١٤٠٩-١٤١١هـ/١٩٨٨-١٩٩٠م) ج ٢، ص ١٥٥٤ (وقد ورد الحديث في ثنايا تفسير القرطبي للآية ١٣٤ من سورة آل عمران).

www.mtenback.com

فقال: قد عفوت عنك.

فقالت الجارية: والله يحبُّ المحسنين.

قال ميمون: قد أحسنت إليك، فأنت حرّة لوجه الله تعالى[٨٠].

وقد ظل هذا التوجّه إلى التسامح ماثلاً دائمًا يرسم السلوك ويخفف غلواء الاندفاع، قال ابن المبارك: كنت عند المنصور جالسًا، فأمر بمعاقبة رجل أخطأ، فقلت: يا أمير المؤمنين، قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ بين يدي الله عزّ وجلّ: «من كانت له يد عند الله فليتقدم، فلا يتقدّم إلا من عفا عن ذنب»، فأمر بإطلاقه[٨١].

ورُفِع إلى المنصور أن رجلاً عنده ودائع وأموال لبني أميّة، فأمر بإحضاره فلما أُدْخِلَ إليه قال له: رُفع إلينا خبر الودائع والأموال التي عندك لبني أميّة فأخرجها إلينا.

فقال: يا أمير المؤمنين، أوارث أنت لبني أميّة؟!

قال: لا

قال: أفأوصوا لك بأموالهم؟!

قال: لا

قال: فما سؤالك عمّا في يدي من ذلك؟!

فأطرق المنصور ساعة، ثم رفع رأسه وقال: إن بني أميّة ظلموا المسلمين فيها، وأنا وكيل المسلمين في حقّهم، وأريد أن آخذ ما ظلموا فيه المسلمين فأجعله في بيت مالهم.

---

[٨٠] القرطبي: تفسيره، ج٢، ص ١٥٥٣ وقال بعده: «وروي عن الأحنف مثله».

[٨١] القرطبي: تفسيره، ج٢، ص ١٥٥٤.

www.mtenback.com

فقال: تحتاج يا أمير المؤمنين إلى إقامة البيّنة العادلة على أن ما في يدي لبني أمية مما خانوا وظلموا فيه دون غيره، فقد كان لبني أمية أموال غير أموال المسلمين. فقال المنصور: صدقت، ما يجب عليك شيء، ثم قال له: هل لك من حاجة؟

قال: تجمع بيني وبين من سعى إليك فوالله ما لبني أمية في يدي مال ولا وديعة، ولكني لما مثلت بين يديك وسألتني عما سألتني عنه، علمت أنه ماينجيني منك إلاّ هذا القول.

فلما جمع المنصور بينه وبين من سعى به، عرفه وقال هذا غلامي، سرق ثلاثة آلاف دينار من مالي وهرب منّي، وخاف من طلبي له، فسعى بي عند أمير المؤمنين.

فشدّ المنصور على الغلام وخوّفه، حتى أقرّ بكلّ ما ذكره الرجل، فقال المنصور للشيخ: نسألك أن تصفح عنه.

قال: قد صفحت عنه وأعتقته، ووهبت له الثلاثة آلاف التي أخذها، وثلاثة آلاف أخرى.

ثم انصرف، فكان المنصور يتعجب منه كلما ذكره، ويقول: ما رأيت مثل هذا الشيخ قط[٨٢].

ومن الحكايات ذات المغزى الدالة على حرية الرأي وتسامح الراعي مع رعيته ما رواه ابن قتيبة عن رجل كَاشَفَ المنصور بما رآه من البغي والفساد في الأرض، وكان الرجل في كلامه واضحًا صريحًا ناصحًا، وكان الخليفة متسامحًا مُطْرِقًا لما يسمعه من عظات تريده أن ينصر المظلومين ويقمع الظالمين وأن يقسم بين الناس بالحق والعدل وأن يفتح بابه ويسهّل حجابه للناس.

---

[٨٢] التنوخي، أبوعلي المحسّن بن علي: المستجاد من فعلات الأجواد، القاهرة، دار الجيل، ط ١، (١٩٨٥م) ص ١٤٤-١٤٦ وانظر: الأبشيهي: المستطرف، ج ١، ص٤١٢-٤١٣.

www.mtenback.com

ومما ورد في الحكاية أن المنصور كان يطوف ليلاً، فسمع قائلاً يقول: اللهمّ إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع.

فخرج المنصور ناحيةً من المسجد، وأرسل إلى الرجل يدعوه، فصلّى الرجل ركعتين، واستلم الركن، وأقبل مع الرسول، فسلّم عليه بالخلافة، فقال المنصور: ما الذي سمعتك تذكر من ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحقّ وأهله من الطمع؟. فو الله لقد حشوتَ مسامعي ما أرمضني[٨٣].

قال: يا أمير المؤمنين إن أمّنتني على نفسي أنبأتك بالأمور من أصولها، وإلا احتجزت[٨٤] منك، واقتصرت على نفسي ففيها لي شاغل.

فقال: أنت آمن على نفسك، فقل.

فقال: إن الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين ما ظهر من البغي والفساد لأنت.

قال: ويحك وكيف يدخلني الطمع، والصفراء والبيضاء في قبضتي، والحلو والحامض عندي؟!

قال: وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك؟! إن الله - تبارك وتعالى - استرعاك[٨٥] المسلمين وأموالهم، فأغفلت أمورهم، واهتممت بجمع أموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجابًا من الجصّ والآجرّ[٨٦] وأبوابًا من الحديد وحجبة معهم السلاح، ثم سجنت نفسك فيها عنهم، وبعثت عُمّالك في جباية الأموال وجمعها وقوّيتهم بالرجال والسلاح والكراع[٨٧]، وأمرت بألاّ يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان،

---

[٨٣] أرمضني: أوجعني وأحرقني.

[٨٤] احتجزت: امتنعت أو احترزت.

[٨٥] استرعاك: استحفظك وطلب منك أن ترعى.

[٨٦] الجصّ: من موادّ البناء، والآجرّ أيضًا وهو طبيخ الطين الذي يبنى به.

[٨٧] الكراع: الخيل والسلاح.

www.mtenback.com

نفرٌ سمّيتهم، و لم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العاري ولا الضعيف الفقير، ولا أحد إلا وله في هذا المال حقّ.

وقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى الصين، فقدمتها مرّة، وقد أصيب ملكها بسمعه، فبكى يومًا بكاء شديدًا، فحثّه جلساؤه على الصبر، فقال: أما إني لست أبكي البلّية النازلة بي، ولكني أبكي المظلوم بالباب يصرخ ولا أسمع صوته، ثم قال: أما إذا ذهب سمعي فإنّ بصري لم يذهبْ، نادُوا في الناس: ألاّ يلبس ثوبًا أحمر إلا متظلّم. ثم كان يركب الفيل طرفي نهاره، وينظر هل يرى مظلومًا. فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله، غلبت رأفته بالمشركين شُحّ نفسِه، وأنت مؤمن بالله، ثمّ من أهل نبيِّه لا تغلب رأفتك بالمسلمين على شحّ نفسك! فإن كنت إنما تجمع المال لولدك، فقد أراك الله عبرًا في الطفل يسقط من بطن أمه، وما له على الأرض من مال، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه، فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه..[٨٨].

ويقول أحمد أمين في تعليقه على هذه الحكاية وأمثالها، إنها «تدل على قدر كبير من حريّة الرأي، وخاصّة إذا لاحظنا أن أكثر هؤلاء الذين جهروا بهذه الآراء لم يمسسهم سوء أو مسّهم طائف من سوء»[٨٩].

على أن المتتبع لتاريخ الدول المتعاقبة يقرُّ بأن تسامح الراعي مع رعيته كان حال كثير من الحكام،خليفة كان أحدهم أو ملكًا أو واليًا أو غير ذلك، كما يقرُّ أيضًا بأن ثمة مظاهر قليلة تشير إلى الحجر على حرية الرأي، ولكن يقابلها مظاهر كثيرة جدًا دلّت على أن المجال كان فسيحًا أمام تلك الحريّة دون الخشية من العقاب[٩٠].

---

[٨٨] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٢، ص ٣٣٣-٣٣٦.

[٨٩] أمين، أحمد: ضحى الإسلام، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٨م)، ج ٢، ص ٤١.

[٩٠] المصدر السابق، ص ٣٧.

www.mtenback.com

ومن يتأمّل الأحداث التاريخية عبر العصور المتتالية يجد أخباراً متنوعة تبين فيها فضيلة التسامح، حتى حيال المعتدين الظالمين، لأنّ كُلاً يعمل على شاكلته، من ذلك ما يروى عن صلاح الدين الأيوبي وتسامحه في معاملة أسراه وقيامه بمعالجة أسيره الملك الإفرنجي المريض وكان قد أشرف على الموت، وما يروى أيضًا عن معركة المنصورة التي أسر فيها جماعة من الأعداء، ضمّتهم دار بن لقمان، وهم مقيّدون بالسلاسل، وقد تبدّى التسامح في معاملة هؤلاء الأسرى، حتى إنه سمح لزوجة لويس التاسع بزيارة زوجها، وافتدائه بالمال شريطة ألا يعود إلى القتال مرة أخرى. وفي مثل هذه القصص التاريخية مدد وفير ينفع الناشئة ويوقفهم على قيم سامية متأصّلة[٩١] في سلوك العربي وخلقه وتعامله مع الآخرين أصدقاء أو أعداء.

ولو ترك المتتبع الآداب المدوّنة بالعربية الفصيحة، ويمّم شطر الآداب الشعبية لوجد شواهد تجلُّ عن الحصر تمثل هذا الجانب من جوانب السلوك القويم، وهو جانب التسامح، من ذلك ما قرره دارسو سيرة عنترة بن شداد الشعبية من أن هذه الملحمة العربية العظيمة تذهب إلى أقصى ما تحتمله النفس البشرية من مشاعر العفو والتسامح والأخوة الإنسانية، وقالوا أيضًا مؤكدين هذه المعاني مذكّرين بأن الروح العربية نزّاعة دومًا إلى التحلّي بالمثل الخلقية الرفيعة: «إن مُثُلَ مغالبة الشهوة وكظم الغيظ والعفو عند المقدرة والصبر على الأذى مع القدرة على ردّه - هي من أسمى المثل العربية الإسلامية، وقد عبّر عنها الأدب العربي في صور مختلفة من التعبير الرائع، فأنت تجدها ماثلة في هذه الصور الملحمية العريقة، كما تجدها في الحكم الموجزة البليغة والنوادر القصيرة الطريفة»[٩٢]. وقد أظهرت سيرة عنترة نهايته المأساوية، وما أحاط بها من نبل

---

[٩١] إبراهيم، محمد طارق: قصص الأطفال في الأدب الحديث، رسالة ماجستير مخطوطة محفوظة في مكتبة كلية الآداب جامعة عين شمس (١٩٩٨م)، ص ٢٢٧.

[٩٢] عياد، شكري، ويوسف نوفل: عنترة الإنسان والأسطورة، الرياض، جامعة الملك سعود (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ص٥١.

www.mtenback.com

وشهامة وشجاعة «على الرغم من ضعفه ووهن جسده، فقد أسر عنترة قاتله (الأسد الرهيص) ثلاث مرات، وكان في كلّ مرة يطلق سراحه»، على الرغم من إثمه المتزايد، حتى توسّط بينهما صديقه عمر بن معديكرب، ولكن ذلك الأثيم استغل في النهاية هذا التساهل فأدى ذلك إلى سقوط البطل على يده[٩٣].

أثر التسامح في الحياة الاجتماعية:

من البديهيّ أنّ للتسامح أثره في المجتمع، إذ ينأى به عن العصبيات والحزازات والتناحر المذهبي والصراعات الدينية والمطامع الاقتصادية، ويقضي على التحاسد والأحقاد وكوارث المجاعات وما قد ينشب بين الناس من دواعي الذعر والخوف والحذر والقلق والتربّص، فيقي من سوء الحروب الطاحنة التي لا تبقي ولا تذر.

وحين تنتفي مشاعر الغضب والرغبة في الانتقام - وهي مشاعر مناقضة للتسامح - فإن ذلك برهان على الإحساس بالإنسانية والحرص على أن يظل المجتمع متوحدًا متماسكًا مرتقيًا في الصعود على مدارج الحضارة والكمال، ينتشر السلام والطمأنينة في أرجائه. وفي هذا المعنى يقول المثل: «لولا الوِئام لهلك الأَنام» ويقول بعض مَنْ فسّروه وكأنهم يربطون بينه وبين التسامح، بأنّ هذا المثل «من أمثالهم في المياسرة»[٩٤].

والدعوة إلى التسامح إنما هي من قبيل الدعوة إلى المعروف الذي يحمي من الهلاك والفناء، فـ «اصطناع المعروف يقي مصارع السوء»[٩٥].

---

[٩٣] القحطاني، شالح خريزان سفران: الفروسية في شعر عنترة بن شداد، رسالة ماجستير مخطوطة محفوظة في مكتبة كلية الآداب، جامعة عين شمس (١٩٩٨م)، انظر: ص ١١٨، ٢٢٨.

[٩٤] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص ١٧٦ وانظر: ابن منظور: لسان العرب (وأم) ج ١٦، ص١١٣.

[٩٥] الميداني: مجمع الأمثال، ج ١، ص ٤٠٨.

www.mtenback.com

وهي أيضًا دعوة إلى أن تستشرف النفوس للفضائل التي تبقي على الصلات بين الناس، حتى يصير الإنسان متسامحًا كريمًا ميّالاً إلى العفو عن المخطئين وقبول حججهم ومعاذيرهم التي يبرّئون بها أنفسهم، مما يتيح لهم أن يتوبوا وينيبوا، ومن ثَـمَّ يتآلف المجتمع ويقلُّ العُصاة المخالفون. وفي مثل هذه المعاني يقول المثل: «العفو عن المجرم من موجبات الكرم، وقبول المعذرة من محاسن الشيم»[٩٦].

والتسامح مطلوب في جميع المجالات التي يضطرب فيها الإنسان، ومنها على سبيل المثال مجال التجارة والمعاملات، يقول الحديث الشريف: «رحم الله رجلاً سمحًا، إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى»، وفي شرح معناه يقول ابن حجر: «فيه الحضّ على السماحة في المعاملة واستعمال معالي الأخلاق وترك المشاحّة والحضّ على ترك التضييق على الناس في المطالبة وأخذ العفو منهم [٩٧]، فالتسامح مستحبّ في جميع الحالات كالبيع والشراء والاقتضاء أي طلب الدين والحق أو قبض المال وأخذه».

ويقول المثل: «الرِّباح مع السَّماح»، أي أن الجود يورث الحمد ويربح المدح[٩٨]، ويضاف إلى هذا المعنى - وهي إضافة بديهيّة معقولة - أن نماء التجارة وزيادتها تتحققان بالمساهلة في الأشياء، فإذا ما جبلت طبائع التجار على التسامح آل بهم ذلك إلى الكسب والزيادة والرِّباح (أي الرِّبح) الوفير لأن بضائعهم تروج وتنفق.

---

[٩٦] الميداني: مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٤٦٠.

[٩٧] ذكر ابن حجر هذا الحديث في باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، وقال: إن السهولة والسماحة متقاربان في المعنى فعطف أحدهما على الآخر من التأكيد اللفظي، ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، نشر: طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة، دار الغد العربي، ط ١ (١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ج ٦، ص٥٦٧-٥٦٨.

[٩٨] الميداني: مجمع الأمثال، ج ١، ص ٣٠١؛ وانظر: الراغب الأصبهاني، أبو القاسم حسين بن محمد: محاضرات الأدباء، القاهرة، الشرفية (١٣٢٦هـ) ج١، ص ٢٢٤.

www.mtenback.com

ومن الأدعية اللطيفة المبشّرة بالخير العميم والتي تدلُّ على الأصالة العربيـــة، أن يقال لمن يدخل في التجارة: «بالرباح والسماح»[٩٩]، وفي مثل هذا القول تذكـــير بـــأن الأمرين مجتمعان، يصاحب كل منهما الآخر ويلازمه، حتى بدا أنه قد اســـتقرَّ في رَوع العربي أن التساهل شرط من أوكد الشروط للكسب، فلا يتحقق هذا إلاّ إذا اقترن به.

وقد روى المثل بصورة أخرى، هي (السماح رباح)[١٠٠]، وعلى الجملة فـــأمور الحياة ينبغي أن تسير على وجوهها التي تصلح وتسهل وتتيسّر، لذا يقول المثل: «أَجْـــرِ الأمورَ على أَذْلالها»[١٠١].

وأمور الحياة التي يستحبّ فيها التسامح ليست قاصرة على مجال التجارات وما يتصل بها من معاملات[١٠٢]، فهناك نشاطات إنسانية مختلفة في المـــزارع والمصـــانع والشركات والمؤسسات والمنتديات والوزارات والمعاهد والجامعات والأقسام العلمية في الكليات.. وغير ذلك مما يرتبط بالإدارة وسياساتها.

وإذا كانت الإدارة – كما هو معروف – علمًا وفنًّا وحزمًا فإن أعمالها لا تثمر ولا تحقق نتائجها الطيبة إلا بالتسامح والحوار السليم وتقبّل آراء الآخرين، إذ ليس مـــن اليسير أن يصل القائمون على أمور الإدارة إلى ما يبتغونه من صلاح إذا عوّلوا علـــى التسديد وأشعلوا نيران البغضاء واستهواهم الاعتداء على حقوق الآخريـــن وأهـــدروا قرارات ذوي الرزانة والحكمة والتفكير الصائب الصافي.

---

[٩٩] ابن منظور: لسان العرب (ربح) ج ٣، ص ٢٦٧.

[١٠٠] المصدر السابق، (سمح) ج ٣، ص ٣١٩.

[١٠١] الميداني: مجمع الأمثال، ج ١، ص ١٧٤.

[١٠٢] قال الماورديّ: إن المسامحة في العقود أن تكون سهلة المناجزة قليلة المحاجزة بعيدة عن المكر والخديعة، أما في الحقوق فتتنوّع نوعين، أحدهما في الأحوال وذلك بطرح المنازعة في الرتب وترك المنافســـة في التقدّم، والثاني في الأموال كمسامحة الإسقاط لعدم ومسامحة التخفيف لعجز ومسامحة الإنكار لعســـرة، وانظر الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٣٣١-٣٣٢.

www.mtenback.com

أثر التسامح في حياة الفرد:

لا يجهل إنسانٌ أثر التسامح في حياة الأفراد، فالتسامح خيرٌ عميم والمتسامح بشوش طلق الوجه ينبسط إلى الناس ويفرح بهم ويقبل عليهم ويلقاهم لقاءً جميلاً فيأنسون به للطفه وهشّه وأريحيته وخفّته للمعروف.

والمتسامح هادىء النفس قرير العين ممتلىء القلب بالسكينة والطمأنينة منشرح الصدر لقبول كل رأي رشيد ونصح مفيد وهدي طيّب. وهو متواضع يُكرم من هم أصغر منه سنًا ويبجّل من هم أسنّ منه. وهو كاظم للغيظ إذا ما حدثته نفسه أن ينتقم، ولا يسارع إلى الغضب إلاّ إذا أيقن أن الظلم قد حاق به، وأن الحق قد أضاعه المفسدون. وهو أيضًا يعفو عن خصومه، فإذا ما عفا عنهم وأجمل في عفوه، فإنهم يصيرون أصفياء متحابين وأصدقاء ودودين، فتسمو مكانتهم، ويبرز فضلهم على من أعماهم الشرّ وأصماهم العدوان.

وهو كذلك إنسانيّ النزعة، يسيطر على النوازع غير المتزنة، وبذا يصبح المتسامح وسط مجتمعه آلفًا مألوفًا. يقول الشاعر متحدثًا عن تسامح النفس إذا نزل بها ما تكرهه وأن هذا التسامح والصبر عليه أذهب بالمكروه وأدعى إلى رضا الإنسان[١٠٣]:

وَلَكِنْ إِذَا مَا حَلَّ كُرْهٌ فَسَامَحَتْ بِهِ النَّفْسُ يَوْمًا كَانَ لِلْكُرْهِ أَذْهَبَا

وربما توحي هذه الصفات المتنوعة بالموازنة بين التسامح والظرافة، أو بين المتسامح والظريف، فقد ألحّ القدماء في بيان شمائل الظرفاء، وعمادُها كما يقول من تحدثوا عن سماتهم المعنوية والنفسية: «حفظ الجوار، والوفاء بالذّمار، والأنفة من العار، وطلب السلامة من الأوزار، ولن يكون الظريف ظريفًا حتى تجتمع فيه خصال أربع: الفصاحة والبلاغة والعفّة والنزاهة»[١٠٤].

---

[١٠٣] أبوتمام: ديوان الحماسة، ج ٢، ص ٨.

[١٠٤] الوشاء، أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى: الموشى أو الظرف والظرفاء، تحقيق: كمال مصطفى، القاهرة، الخانجي، ط ٢ (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) ص٥١؛ وانظر التوحيدي: البصائر والذخائر، ج٣، ص١٣٨-١٣٩.

www.mtenback.com

على أن ما ينبغي التنويه به في معرض الحديث عن التسامح هو أنّ ثمة إشارات إلى أن من شروط الظرف أن يتسامح الظريف فيلتمس للآخرين إذا ما زلّوا وتنكّبوا الصواب، وفي ذلك يقول الشاعر[١٠٥]:

أُحِبُّ الفَتَى يَنْفِي الْفَوَاحِشَ سَمْعُهُ ... كَأَنَّ بِهِ عَنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ وَقْرَا[١٠٦]

سَلِيْمَ دَوَاعِي الصَّدْرِ لاَ بَاسِطًا أَذَىً ... وَلاَ مَانِعًا خَيْرًا وَلا قَائِلاً هُجْرَا[١٠٧]

إِذَا شِئْتَ أن تُدْعَى كَرِيْمًا مُكَرَّمًا ... أَدِيْبًا ظَرِيْفًا عاقِلاً مَاجِدًا حُرَّا[١٠٨]

إِذَا ما أَتَتْ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ ... فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالاً لِزَلَّتِهِ عُذْرَا

غِنَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ خَلَّةٍ ... فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَاكَ الغِنَى فَقْرَا[١٠٩]

فكان مما قاله الشاعر في هذه الأبيات: إذا أردت أن تشتهر بالكرم والأدب والظرف والعقل والنبل والشرف فسامح صديقك والتمس له عذرًا عن أغلاطه.

التسامح مع الأصدقاء والأوفّاء:

يتردد في المأثورات، أشعارها وأمثالها وحكمها وأخبارها، كثير مما يشهد بأن تسامح الصديق مع صديقه ضرورة واجبة، حفاظًا على الصداقة وإبقاءً على الأخوّة والمودّة، يقول المثل: «مَنْ لك بأخيك كلّه»[١١٠]، أي ليس هناك من يضمن ويكفل

---

[١٠٥] أبو تمام: ديوان الحماسة، ج ٢، ص ص ٢٤-٢٥.

[١٠٦] الوقر: الصمم وثقل الأذن.

[١٠٧] دواعي الصدر: همومه، الهُجر: الهذيان والقبيح من القول.

[١٠٨] الحرّ: الكريم الخالص.

[١٠٩] الخلّة: الحاجة والفقر.

[١١٠] الميداني: مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٣٠١ وفي المكتبة العربية مؤلفات متنوعة تتحدث عن الصداقة والصديق من مثل رسالة أبي حيان التوحيدي، وفي بعض المؤلّفات فصول ضافية موضوعها الإغضاء عن هفوات الإخوان من مثل ما أورده الماوردي في «أدب الدنيا والدين»، ص١٧٤-١٨٣، وعن محاسن الإخوان ومساويهم انظر البيهقي: «المحاسن والمساوي»، ج٢، ص٣٨٥-٣٨٩.

www.mtenback.com

لك أخًا كلّ أفعاله طيّبة ترضى عنها، إذ لابدّ أن يكون فيه ما تكرهه وتضيق به. ويقول بعض الحكماء: «لا صديق لمن أراد صديقًا لا عيب فيه»[١١١].

ومن المشهور في هذا المعنى قول النابغة الذبياني:

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لا تَلُمُّهُ ... عَلَى شَعَثٍ، أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبُ؟!

وقد جرى هذا البيت مجرى الحكمة على مرّ العصور، وكان درّة من درر الحصافة ونفاذ البصيرة التي اشتهر بها العربيّ، ومعناه أن من العسير أن يكتمل في الإنسان كلّ ما نرغب من الصفات، وإذا أردنا صديقًا تتوفر فيه كلّ المكرمات لأعيانا العثور عليه، ولذا ينبغي للحفاظ على الصديق واستدامة صلته أن نتقبله على ما فيه من علاّت إذا كان فيه ضروب المروءة وشروطها[١١٢].

وقد أخذ بعضهم هذا المعنى فعبّر عنه في أبيات يحث فيها على إكرام الصديق، فقال:

اِصْبِرْ إِذَا عَضَّكَ الزَّمَانُ، وَمَنْ ... أَصْبَرُ عِنْدَ الزَّمَانِ مِنْ رَجُلِهْ

وَلا تُهِنْ لِلصَّدِيْقِ تُكْرِمُهُ ... نَفْسَكَ حَتَّى تُعَدَّ مِنْ خَوَلِهْ

يَحْمِلُ أَثْقَالَهُ عَلَيْكَ كَمَا ... يَحْمِلُ أَثْقَالَهُ عَلَى جَمَلِهْ

وَلَسْتَ مُسْتَبْقِيًا أَخًا لَكَ لا ... تَصْفَحُ عَمَّا يَكُوْنُ مِنْ زَلَلِهْ

لَيْسَ الفَتَى بِالَّذِي يَحُوْلُ عَنِ الـ ... عَهْدِ وَيُؤْتَى الصَّدِيْقُ مِنْ قِبَلِهْ

---

[١١١] انظر الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٣٢٤.

[١١٢] انظر: ابن قتيبة: عيون الأخبار: ج ٣، ص ١٦ والبيت من قصيدة مشورة يعتذر فيها الشاعر للنعمان بن المنذر. استبقى أخاه: صفح عن زلّته لتبقى مودته، لمّه على شعث: جمع ما تفرّق من أموره وأصلحه، أيّ الرجال المهذب؟ معناه: أيّ الناس ليس فيه صفة غير مرضيّة؟.

www.mtenback.com

وأكثر الشعراء من الحديث عمّا يلزم من تغاضي الصديق عن مساوئ صديقه، ومن ذلك قول ابن الأعرابيّ:

أُغَمِّضُ لِلصَّدِيْقِ عَنِ المَسَاوِيْ ... مَخَافَةَ أَنْ أَعِيْشَ بِلاَ صَدِيْقِ

وقال كُثَيِّر[113]:

وَمَنْ لاَ يُغَمِّضُ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيْقِهِ ... وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيْهِ يَمُتْ وَهْوَ عَاتِبُ

وَمَنْ يَتَتَبَّعْ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ ... يَجِدْهَا وَلا يَسْلَمْ لَهُ-الدَّهْرَ- صاحِبُ

وقال آخر:

إِذَا مَا صَدِيْقِي رَابَنِي سُوءُ فِعْلِهِ ... وَلَمْ يَكُ عَمّا سَاءَنِي بِمُفِيْقِ

صَبَرْتُ عَلَى أَشْيَاءَ مِنْهُ تَرِيْبُنِي ... مَخَافَةَ أَنْ أَبْقَى بِغَيْرِ صَدِيْقِ

وقال الرِّياشي:

اقْبَلْ أَخَاكَ بِبَعْضِهِ ... قَدْ يُقْبَلُ المَعْرُوْفُ نَزْرَا

وَاقْبَلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ ... إِنْ سَاءَ عَصْرًا سَرَّ عَصْرَا

وقال آخر[114]:

أَخٌ لِي كَأَيَّامِ الحَيَاةِ إِخَاؤُهُ ... تَلَوَّنُ أَلْوَانًا عَلَيَّ خُطُوبُهَا

إِذَا عِبْتُ مِنْهُ خَلَّةً فَهَجَرْتُهُ ... دَعَتْنِي إِلَيْهِ خَلَّةٌ لا أَعِيْبُهَا

ولبشار بن برد أبيات عن الصديق والصداقة تتردد في كثير من المصادر، وهي[115]:

---

[113] كثير عزّة، أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزيمي: ديوان كثير، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ص١٥٤.

[114] ابن قتيبة عيون الأخبار، ج٣، ص١٦ -١٧.

[115] الأصفهاني: الأغاني، ج٣،ص٢٣٧، وانظر ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص١٧.

www.mtenback.com

إِذَا كُنْتَ فِي كُـــلِّ الأُمـــوْرِ مُعَاتِبًـــا صَدِيْقَكَ لَمْ تَلْـــقَ الَّـــذِي لاَ تُعَاتِبُـــهْ
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْصِـــلْ أَخَـــاكَ فَإِنَّـــهُ مُقَـــارِفُ ذَنْـــبٍ مَـــرَّةً وَ مُجَانِبُـــهْ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَذَى ظَمِئْتَ وَ أَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ[١١٦]

فالشاعر يرى أن كلّ إنسان لا يخلو من معايب تقدح فيه، فلا مندوحـــة عـــن الإغضاء والتسامح والتجاوز عن سقطات الأصدقاء وزلاّتهم وأن نتقبّلهم على ما بهـــم من عوار، ونتعامل معهم على علاّتهم، وإلاّ عشنا في وحشة وانفراد وبعد عن مخالطـــة الناس، ويمثل الشاعر لذلك بالماء نشربه اضطراراً على الرغم مما يشوبه ويعكر صفـــوه من القذى، فإن لم نفعل ظمئنا وقاسينا وطأة العطش الذي لا يصبر عليه أحد.

وفصّل المتوكلّ الليثي القول عن أسلوبه الذي يتّبعه إذا عنّ لصديقه أن يقاطعـــه ويهجره، فقال[١١٧]:

إِنِّي إِذَا مَـــا الخَلِيْـــلُ أَحْـــدَثَ لِـــي صَرْمًـــا وَ مَـــلَّ الصَّفَـــا أَوْ قَطَعَـــا
لا أَحْتَسِـــي مَـــاءَهُ عَلَـــى رَنَـــقٍ وَلا يَرَانِـــي لِبَيْنِـــهِ جَزِعَـــا
أَهْجُرُهُ ثُـــمَّ يَنْقَضِـــي غُـــبَّرُ الْـــ ـــهِجْـــرانِ عَنَّـــا وَلَـــمْ أَقُـــلْ قَذَعَـــا
احْـــذَرْ وِصَـــالَ اللَّئِيْـــمِ إِنَّ لَـــهُ عَضْهًا إِذَا حَبْلُ وَصْلِهِ انْقَطَعَـــا[١١٨]

يقول الشاعر إنه إذا اضطرّ إلى مقابلة قطيعة صديقه بقطيعة مثلها، فإنـــه يظـــلّ حافظًا للمودّة غير مفحش في القول ولا مقابل للإساءات بمثلها، وذلك أملاً في فيئـــة الصديق ورجوعه، والشاعر في ذلك لايتخلق بخلق اللئام ممن ينبغـــي الحـــذر منهـــم

---

[١١٦] مقارفة الذنب: مقاربته، مجانبه: مبعده، القذى: مايقع في الشراب أو الماء أو العين من تراب وغيره.

[١١٧] أبو تمام: ديوان الحماسة، ج٢، ص ص ٦٢-٦٣.

[١١٨] الصرم: الهجر والقطع، الرنق: الكدر، وهو نقيض الصفاء، الغُبّر: البقيّة والآخر، القـــذع: الفحـــش والكلام القبيح، العضه: الإفك واختلاق الكذب.

www.mtenback.com

والابتعاد عنهم لأنهم يفحشون ويختلقون الأكاذيب ويلجون في الخصومة. ويقول القاسم بن يوسف في معاني التغاضي والتجاوز[119]:

وَلا تَسْأَلِ النَّاسَ إِفْضَالَهُمْ ... فَتَهْتِكَ أَسْتَارَهُمْ عَنْ بَخَلْ

وَإِنْ كُنْتَ لابِسَهُمْ فَاطْوِهِمْ ... عَلَى دَخَنٍ فِيهِمِ أَوْ دَخَلْ

وَإِلاّ فَعِشْ غَيْرَ مَا صَاحِبٍ ... فَقَدْ فَسَدَ النَّاسُ إِلاّ الأَقَلْ[120]

وحذر ابن المقفع من التمادي في معاتبة الأصدقاء ودعا إلى مسامحتهم والابتعاد عن مطالبتهم بما لا يطيقونه، فقال: «انظر مَنْ صاحبت من الناس، مِنْ ذي فضل عليك بسلطان أو منزلة، أو مَن دون ذلك من الأكْفاء والخُلَطاء والإخوان، فوطّنْ نفسك في صحبته على أن تقبل منه العفو وتسخو نفسك عما اعتاص[121] عليك ممّا قبله، غير معاتِب ولا مستبطىء ولا مستزيد، فإن المعاتبة مقطَعَة للوُدّ، وإن الاستزادة من الجشع، وإن الرضا بالعفو والمسامحة في الخلق مقرِّب لك كلّ ماتتوق إليه نفسُك، مع بقاء العِرض والمودّة والمروءة»[122].

ومن الملحوظ أن من الأمثال العربية قدراً وافراً ينحو هذا المنحى في التعبير عن عاطفة الصداقة ولزوم التسامح عن هفوات الأصدقاء، ولهذه الأمثال أهميتها أيضًا في

---

[119] الصولي، أبوبكر محمد بن يحيى: أخبار الشعراء المسمى كتاب الأوراق، نشر: ج. يوارث دن، القاهرة، الصاوي، ط١ (١٩٣٤م) ص١٨٩.

[120] إفضالهم: إحسانهم، البَخَل بفتح الخاء وسكونها ضد الكرم، لابسهم: مخالطهم ومتّصلاً بهم، طوى: بمعنى كتم وأسرّ الشيء في نفسه، الدخَن: السوء والحقد، ويقال: هُدْنة على دَخَن أي صلح على فساد باطن، الدخل: العيب والغش والفساد.

[121] العفو من المال مازاد على النفقة، والعفو أيضًا بمعنى المعروف، اعتاص: خفي معناه والتوى وصعب فهمه.

[122] ابن المقفع، أبو محمد عبدالله بن داذويه، الأدب الكبير، تحقيق: أحمد زكي باشا، القاهرة، مدرسة محمد علي الصناعية (١٣٣٠هـ/١٩١٢م) ص١١٠.

www.mtenback.com

الاستدلال على روح الثقافة العربية، وذلك لأن العربي عبّر بها عن آرائه وخبراته وقيمه وتطلعاته وكانت رصيداً ثريًا يكشف عن مفهومه لما حوله من مظاهر الحياة.

فمن الأمثال التي تضرب في الصبر على جفاء الإخوان: «إن لم تُغْضِ على القذى لم ترضَ أبدًا»[١٢٣]، ولاشك في أن خلق التسامح يفرض هذا الحرص على الصديق، وذلك بالإغضاء عن كبواته وهفواته وهو أمر يجعل المرء في مأمن من عتاب الإخوان وغضبهم.

ومنها ما يدعو إلى استبقاء الإخوان والصفح عن الزلاّت لتبقى مودّتهم، مثل: «تناس مساويَ الإخوان، يدمْ لك ودّهم»[١٢٤].

أما إذا أخطأ الأصدقاء فيحسن الاكتفاء بعتابهم، لأن الإنسان يحرم الخير بغيابهم وتحاشيهم، وعلى العاقل ألا يخسرهم. يقول المثل: «معاتبة الإخوان خيرٌ من فقدهم»، وهذا مثل قولهم:

وفي العتابِ حياةٌ بين أقوامِ[١٢٥]

ومن أشد الأغلاط أن يعيب الإنسان صديقه، فالواجب ترك شتمه والوقيعة فيه، وتجنّب عيبه واغتيابه، يقول المثل: «اتقِ الله في جنب أخيك، ولاتقدح في ساقه»[١٢٦].

---

[١٢٢] الذي في مجمع الأمثال للميداني: «إن لم تعض...» ج١، ص٦٠، وأرجح أن الصواب ما أثبته، يقال: فلان يغضي على القذى، إذا سكت على الذلّ والضيم وفساد القلب، ابن منظور: لسان العرب (قذى) ج٢٠، ص٣٤.

[١٢٤] المصدر السابق، ج١، ص ١٤٥.

[١٢٥] المصدر السابق، ج٢، ص ١٤٥.

[١٢٦] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص١٣٧ وانظر ابن منظور: لسان العرب (جنب) ج١، ص٢٦٨، في جنبه أي في أمره، وقد فسّر الجنب ههنا بالوقيعة والشتم، قدح في ساقه: غشّه وعمل في شيء يكرهه.

www.mtenback.com

ومما يقال في كظم الغيظ واحتمال الأصدقاء قولهم: «لايصلح رفيقًا من لم يبتلع ريقًا»[١٢٧] وهو حث على التسامح مع أخطاء الناس وقبول أعذارهم وعلل الحياة التي يتعللون بها وهو دليل على ماجبل عليه الإنسان وركب في الطبع من النقص وعدم الكمال.

ومن المروءة أن يصفح الناس عن ذوي المروءات، ويسارعوا إلى إسعافهم إذا وقعوا في الزلل وانتابتهم السقطات، يقول المثل: «أقيلوا ذَوِي الهيئاتِ عثراتِهم»[١٢٨].

وتحدث مسكويه عن الضرر الناجم عن جفوة الصديق فقال: «وأما صديقك فوجوه الضرر التي تدخل عليك بجفائه وانتقاص مودّته كثيرة عظيمة، ذلك أنه ينقلب عدوًا وتتحول منافعه مضارّ، فلا تأمن غوائله وعداوته، مع عدمك الرغائب والمنافع به وينقطع رجاؤك فيما لا تجد له خلفًا، ولا تستفيد عنه عوضًا، ولا يسدّ مسدّه شيء، وإذا راعيت شروطه وحافظت عليها بالمداومة أمنت جميع ذلك، ثم احذر المِراء معه خاصّة»[١٢٩].

ويقول أيضًا في الحفاظ على الصديق إنك إن عرفت فيه عيبًا «فوافِقْه عليه موافقة لطيفة ليس فيها غلظة، فإن الطبيب الرقيق ربما بلغ بالدواء اللطيف ما يبلغه غيره

---

[١٢٧] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص٢٤٢- وأراد بالريق: ريق الغضب.

[١٢٨] قال الميداني: «أراد بذوي الهيئات: أصحاب المروءة. ويروي: ذوي الهَنات، بالنون، جمع الهَنَة، وهي الشيء الحقير، أيْ: من قلت عثراته أو حقرت فأقيلوها» مجمع الأمثال، ج٢، ص١٢٣. ونسب الأبشيهي هذا المثل إلى عليّ رضي الله عنه، المستطرف، ج١، ص٤٠٦. وأورده ابن منظور، وقال: «ذوو الهيئات هم الذين لا يُعْرفون بالشر، فيزلّ أحدهم الزلّة. الهيئة: صورة الشيء وشكله وحالته، يريد به ذوي الهيئات الحسنة الذين يلزمون هيئة واحدة وسمتًا واحدًا، ولا تختلف حالاتهم بالتنقل من هيئة إلى هيئة، لسان العرب (هيأ) ج١، ص١٨٣.

[١٢٩] مسكويه: تهذيب الأخلاق، ص١٣٦.

www.mtenback.com

بالشقّ والقطع والكيّ، بل ربما توصّل بالغذاء إلى الشفاء، واكتفى بـه عـن المعالجـة بالدواء. ولست أحب أن تغضي عما تعرفه من صديقك، وأن تترك موافقته عليه بهـذا الضرب من الموافقة، فإن هذا خيانة منك ومسامحة فيما يعود ضرره عليه»[١٣٠].

تلك هي قواعد من السلوك تجاه الأصدقاء وأهل المودة، وما يجب من مراعاتهم والحفاظ عليهم، ولكن قد يصادف الإنسان لئيمًا دنيء المنبت شحيح النفس، ربما بلغ به لؤمه ودناءته ألا يحفل بمن يشتمه ويثلبه، وربما رغب في ذلك الشتم ورأى فيه سـعادة وإشباعًا لنفسه الملوثة، وقد أفاد المؤمل بن أميل المحاربي بوصف هذا الصنف من البشـر وبذكر موقفه منه، فقال[١٣١]:

وَكَمْ مِـنْ لَئِيـمٍ وَدَّ أَنِّـي شَـتَمْتُهُ ... وَإِنْ كَانَ شَتْمِي فِيهِ صَابٌ وَعَلْقَـمُ

وَ لَلْكَفُّ عَنْ شَـتْمِ اللَّئِيـمِ تَكَرُّمًـا ... أَضَرُّ لَهُ مِـنْ شَـتْمِهِ حِيْـنَ يُشْـتَمُ

وقد أوضح الشاعر أنه لم يعطِ الفرصة لذلك اللئيم، فمن دواعي النزاهة وصون العرض والبُعد عما يشين أن يمسك عن شتمه ويترك مجاذبته، وذلك أشد قسوة وإيلامًا على اللئيم الذي يتوق إلى أن يفاخر بأن الآخرين شاتموه. وهذا الموقف الذي عَبّر عنـه الشاعر ليس من قبيل التسامح بقدر دلالته على قدرة الشاعر على فهم النفس الإنسانية والنفاذ إلى أغوار طبائع بعض الناس وكيف يكون التعامل معها.

ويماثل ذلك – من بعض الوجوه – أن الإنسان قد يلقى ثقيلاً أو ذا غثاثة يضيق بمعاشرته ويكره صحبته ومعاملته، فهنا يُنصح بالحكمة القائلة: «ألْـقِ حبلـه علـى غاربه»[١٣٢]، أي اكتف بتركه واجتنابه «ذلك على سبيل التمثيـل بالبعـير إذا أراد

---

[١٣٠] مسكويه: تهذيب الأخلاق، ص ١٣٨.

[١٣١] أبو تمام: ديوان الحماسة، ج٢، ص ص ٢٥-٢٦، والصاب: عصارة شجر مرّ، العلقم: شجر الحنظل التكرّم: التنزّه.

[١٣٢] أبو تمام: ديوان الحماسة، ج٢، ص ٢١٠.

www.mtenback.com

أصحابه إهماله أو إرساله إلى الرعي، فإنهم لا يتركون حبله ساقطًا يمنعه من الرعي، بل يطرحونه على غاربه - أي أعلى مقدّم سنامه- ويتركونه يذهب حيث يشاء».

وربما يقال إن في مثل هذا الموقف قدرًا من التسامح، يتمثل في أن المعاقبة كانت باليسير المتمثل في الابتعاد عن ذلك الثقيل أو الجاهل أو غيرهم من أصناف البشر المرغوب عنهم، ولكن ذلك يدّل على تفهّمٍ لطبائع الآخرين، وقدرة على التعامل بما يناسبها.

وفي الدعوة إلى معاملة كلٍّ بما يليق به طبقًا لحالته وظروفه، يقول عقيل بن عُلّفة المُرّي[١٣٣]:

وَلِلدَّهْرِ أَثْوَابٌ فَكُنْ فِي ثِيَابِهِ ... كَلِبْسَتِهِ يَوْمًا أَجَدَّ وَأَخْلَقَا

وَكُنْ أَكْيَسَ الكَيْسَى إِذَا كُنْتَ فِيهِمُ ... وَإِنْ كُنْتَ فِي الحَمْقَى فَكُنْ أَنْتَ أَحْمَقَا

ففي هذين البيتين دعوة إلى المرونة التي يحسن أن يتصف بها كل إنسان يلبس لكلّ شيء لبوسه، ويعالج كلّ موقف علاجه الملائم، فالحياة تشتمل على الأضداد؛ حالاتها متغايرة، وأمورها متباينة، وأحداثها متناقضة، وفي هذه المعاني الداعية إلى المرونة ملامح لا تخفى من معاني التسامح، وفيها ما يشير إلى أن المتسامح ينبغي أن يمرُن على مواجهة الأيّام في شدّتها ولينها، وفي عسرها ويسرها، شأنها شأن خلائق الناس في تعقّلها أحيانًا وتحامقها أحيانًا أخرى!.

ومن المرونة - التي يمكن الربط بينها وبين التسامح - أن يصبر المرء ويحتمل الشيء خوفًا مما هو أشدّ منه، يقول المثل: «من لم يصبر على كلمة سمع كلمات»[١٣٤]،

---

[١٣٣] أبو تمام: ديوان الحماسة، ج٢، ص٢٦. والبيت الثاني في لسان العرب لابن منظور (كيس) ج٨، ص٨٥. أجدّ ثوبًا: لبسه جديدًا، أخلقه: أبلاه، الكيسى: جمع الكَيّس، وهو العاقل الفطن.

[١٣٤] الميداني: مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٣٣١.

www.mtenback.com

فهذا الصبر على ما يقرع السمع من هجر أو فحش أو بذاءة يقي من مساوئ أخرى متوقعة حالة الاندفاع والطيش.

ومن جوامع الكلم التي يتمثلها الناس: «الرفق يُمن، والخرق شؤم»[١٣٥]، فالرفق بركة وأناة ولطافة ولين جانب وحسن صنيع، وذلك كله يفضي إلى التسامح، أما نقيض ذلك - وهو الخرق أو الجهل والحمق - فشؤم وشرّ.

ويتوّج هذا كلّه الحديث الشريف: «أتبع السيئة الحسنةَ تَمْحُها»[١٣٦]، وفي معناه يقول أبو نواس[١٣٧]:

خَيْرُ هَذا بِشَرٍّ ذَا فَإِذَا الرَّبُّ قَدْ عَفَا

فمن التسامح أن يدفع الإنسان الشرَّ بالخير، وألاّ يكافيء الآخرين بالشر[١٣٨]، وأن يتوب ويُنيب عما اجترم، وأن يبعد بحسنات أفعاله سيئاته[١٣٩].

التسامح قيمة حضارية:

لقد خرج العرب في ظل الإسلام من الجزيرة العربية، ومعهم سلاح من تسامح استمدوه من دين سمح، فانساحوا في مختلف الأصقاع، وفتحوا فارس وخراسان والعراق والشام ومصر والمغرب، واجتازوا مضيق جبل طارق إلى الأندلس، ووصلوا إلى الهند ومشارف الصين.

---

[١٣٥] الميداني: مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٣٠٥؛ وانظر ابن منظور، لسان العرب (رفق) ج ١١، ص٤٠٨ــ٤١١؛ مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط (خرق) ج ١، ص٢٣٨.

[١٣٦] أخرجه الترمذي في كتاب البّر باب معاشرة الناس.

[١٣٧] الميداني: مجمع الأمثال، ج ١، ص ١٤٥.

[١٣٨] انظر: تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾، وهو جزء من الآية ٢٢ من سورة الرعد في الطبري: تفسيره، ج ٧، ص ٤١٢.

[١٣٩] انظر: تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾، وهو جزء من الآية ٥٤ من سورة القصص ابن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج ١٠، ص٩٣.

www.mtenback.com

وكان سبيل الدعوة إلى الإسلام هو التذكير والتبليغ بما هو أحسن وأنفع، والتوصّل إلى ذلك بأخلاقٍ إنسانية رفيعة، منها الصفح عما يقترفه الآخرون من الأذى، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[١٤٠].

وكان الأوائل من المسلمين يعتمدون على معاملاتهم الطيبة وسلوكهم المتسامح، ولذلك انتشر الإسلام سريعًا، بعد أن جذب إليه كثيرًا من الشعوب التي وجدت في الشريعة السمحة ملاذًا من المساواة والعدل يحتمون به من العنصرية المقيتة والاضطهاد الدينيّ المدمّر.

وقد ظل المسلمون «يعلمون حدودهم في كل علاقة تعرض لهم بين أنفسهم وبينهم وبين جيرانهم: علاقة المودّة والوئام وعلاقة الشغب والفتنة وعلاقة الحرب أو علاقة التعاهد أو علاقة الموادعة والمهادنة أو علاقة الأمان والاستئمان»[١٤١].

وكان التسامح دائمًا منهج حياة للإسلام والعروبة يفسح المجال واسعًا للوحدة الإنسانية، وينبذ ما بين الأجناس من فوارق، ولا يعترف بالاتجاهات الضيقة. ومن آكد مظاهر ذلك أن الناس جميعهم مسلمين وغير مسلمين كان لهم حريتهم وتآلفهم، وحققوا وحدة قائمة على الأمن والعدل والودّ والتراحم بين المسلمين وفي علاقاتهم مع أصحاب الملل الأخرى، يقول الدكتور شوقي ضيف: «مضى الإسلام يعتد بحرية الإنسان وكرامته وحقوقه الإنسانية إلى أقصى الحدود، وقد جاء والاسترقاق راسخ متأصل في جميع الأمم، فدعا إلى تحرير العبيد وتخليصهم من ذلّ الرقّ»[١٤٢].

---

[١٤٠] سورة النحل: آية ١٢٥.

[١٤١] أبوزيد، محمد عبدالحميد: السلام في الإسلام، القاهرة (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ص ٢٤.

[١٤٢] ضيف، شوقي: العصر الإسلامي، القاهرة، دار المعارف، ط١٠ (د.ت) ص ٢٣.

www.mtenback.com

ويقول في معرض وصفه لطبيعة الحياة التي عاشها المسلم، وكانت من أسباب تحضّره: «حياة تقوم على الخير والبرّ والتعاون، تعاون الرجل مع المرأة في الأسرة الصالحة وتعاون الرجل مع أخيه في المجتمع الرشيد»[١٤٣].

ومعنى ذلك أن التسامح قيمة حضارية سامية وأسلوب معيشة سار وفقها الإسلام والعروبة، يصعب أن تؤديه فتفي بواجباته أفكار أو أنظمة أخرى.

ومن أجل التدليل على ذلك المنحى الحضاريّ المتميّز يمكن - في البداية - الاجتزاء بما حققته الحضارة العربية - بفضل التسامح - في ميادين المعارف والعلوم الإنسانية، فمنذ البدايات الباكرة استقرّ في الروع أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، مهما كان في طلبه من مشقّة ومكابدة، ولذلك ألحّ الاتجاه الحضاريّ الإسلامي على الاستقصاء والإحاطة.

وللعلوم الدينية الشرعية أصولها السماويّة المنزلة ولذلك لم تكن ثمة حاجة في هذه العلوم إلى معارف الآخرين، أما العلوم العامة كالحساب والهندسة والطب والصيدلة والكيمياء والزراعة والفلسفة والفلك وغيرها، فقد كان المجال فيها متاحًا للأخذ مما توصّلت إليه بعض الأمم آنذاك من تقدّم، ولذا استفادت الثقافة العربية من ثقافات الفرس واليونان والهند وغيرها.

وكانت الترجمة إلى اللغة العربية من لغات تلك الأمم من أبرز مظاهر التسامح أو الرحابة التي أفادت العالم كله من بعد، وذلك لأن الحضارة الإسلامية العربية استوعبت ما ثقفته من الحضارات السابقة وهذّبته وأضافت إليه، ولو لم يكن لهذه الحضارة المتسامحة من فضل سوى حفاظها على تراث الإنسانية القديم لكفاها هذا فخرًا

[١٤٣] ضيف، شوقي: العصر الإسلامي، ص٢٢.

www.mtenback.com

واعتزازًا ودليلاً على دورها الإنساني الكبير، ولكنها في واقع الأمر حافظت عليه وأضافت إليه.

وكانت الصلات بين الصفوة من العلماء - وهم الأسوة والموجهون لعامة الناس وأوساطهم - قائمة على التسامح، على الرغم من اختلاف الآراء بينهم وتباين المذاهب وتفاوت الأمزجه.

ويحسن الاستشهاد في هذا الصدد بما كتبه الشيخ محمد عبده مفصّلاً موضحًا تحت عنوان: «عود إلى سماحة الإسلام»، وفيما يلي فقرات مما كتبه، يمكن إيرادها على طولها إتمامًا للفائدة، قال: «آخذ بيد القاريء الآن، وأرجع به إلى ما مضى من الزمان، وأقف به وقفة بين يدي خلفاء بني أمية والأئمة من بني العبّاس ووزرائهم، والفقهاء والمتكلّمون والمحدّثون والأئمّة المجتهدون من حولهم، والأدباء والمؤرّخون والأطباء والفلكيّون والرياضيّون والجغرافيّون والطبيعيّون وسائر أهل النظر من كلّ قبيل مطيفون بهم، وكلّ مقبل على عمله، فإذا فرغ عامل من العمل أقبل على أخيه ووضع يده في يده، يصافح الفقيه المتكلّم والمحدّث الطبيب والمجتهد الرياضيّ والحكيم، وكلٌّ يرى في صاحبه عونًا على ما يشتغل هو به.

وهكذا أدخل به بيتًا من بيوت العلم، فأجد جميع هؤلاء سواءً في ذلك البيت يتحادثون ويتباحثون، والإمام البخاريّ حافظ السنّة بين يدي عمران بن حطّان الخارجيّ يأخذ عنه الحديث، وعمرو بن عُبيد رئيس المعتزلة بين يدي الحسن البصريّ شيخ السنّة من التابعين يتلقّى عنه، وقد سئل الحسن البصريّ عنه فقال للسائل: «لقد سألت عن رجل كأن الملائكة أدّبته، وكأنّ الأنبياء ربّته، إن قام بأمر قعد به، وإن قعد بأمر قام به، وإن أمر بشيء كان ألزم الناس له، وإن نهى عن شيء كان أترك الناس له، ما رأيت ظاهرًا أشبه بباطن منه، ولا باطنًا أشبه بظاهر منه».

www.mtenback.com

بل أرفع بصري فأجد الإمام أبا حنيفة أمام الإمام زيد بن عليّ «صاحب مذهب الزيديّة من الشيعة» يتعلّم منه أصول العقائد والفقه، ولا يُجد أحدهم من الآخر إلا ما يجد صاحب الرأي في حادثة ممّن ينازعه فيه اجتهاد في بيان المصلحة، وهما من أهل بيت واحد.

أمرّ به بين تلك الصفوف التي كانت تختلف وجهتها في الطلب، وغايتها واحدة وهي العلم، وعقيدة كلّ منهم أن فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة، كما ورد في بعض الأحاديث.

الخلفاء أئمة في الدين مجتهدون، وبأيديهم القوّة، وتحت أمرهم الجيش، والفقهاء والمحدّثون والمتكلّمون والأئمّة المجتهدون الآخرون هم قادة أهل الدين ومن جند الخلفاء، الدين في قوته، والعقيدة في أوج سلطانها، وسائر العلماء ممّن ذكرنا بعدهم يتمتعون في أكنافهم بالخير والسعادة ورفه العيش وحريّة الفكر، لا فرق في ذلك بين مَنْ كان مِنْ دينهم، ومَنْ كان مِنْ دينٍ آخر، فهنالك يشير القارئ المنصف إلى أولئك المسلمين وأنصار ذلك الدين،ويقول: ههنا انطلق اسم التسامح مع العلم في حقيقته، ههنا يوصف الدين بالكرم والحلم، ههنا يعرف كيف يتفق الدين مع المدنيّة، عن هؤلاء العلماء الحكماء تؤخذ فنون الحريّة في النظر، ومنهم تهبط روح المسالمة بين العقل والوجدان أو بين العقل والقلب كما يقولون..[١٤٤].

---

[١٤٤] عبده، محمد: الإسلام دين العلم والمدنيّة، تحقيق: د. عاطف العراقي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٨م) ص١٨٩-١٩٠.

www.mtenback.com

التسامح في العبادات والأحكام:

سبق القول بأن التسامح معنى بارز من مكارم الأخلاق، وذلك التسامح سمة من أظهر السمات التي حضّ الدين الإسلامي عليها حتى تتجلى في جوانب العبادات وفي جميع الأحكام. فالمحمود المستحبّ هو ما استطاع الإنسان المواظبة معه وأمن من العُجب وغيره من المهلكات، أما الغلوّ والتمادي ومجاوزة الاعتدال فعُسْر يأباه الدين.

فالقيام والصيام والجهاد مما يرغّب فيه الدين، ولكن الواجب ألاّ يجهد الإنسان نفسه إلى درجة العجز والانقطاع، وخاصة إذا اعترته شدائد المرض أو نوازل الفقر والعوز. أو غير ذلك من العوارض، ففي مثل هذه الأحوال يسمح الدين بالرخصة، وييسّر ويسهّل ويعدّل من الأمور في أصلها إلى ما فيه التخفيف، فمن المناسب دائمًا أن يعمل الإنسان متلطّفًا متدرّجًا ليواصل عمله. وفي الحديث الشريف: «أنّ الله يحبّ أن تُؤتى رخصه كما يحبُّ أن تُؤتى عزائمه»[١٤٥]، ومن القواعد الفقهية التي استنبطها الفقهاء من النصوص الشرعية قاعدة مؤدّاها أنّ المشقة تجلب التيسير.

ومن أمثلة ما فيه التخفيف: صلاة السفر، ومنها أيضًا أن الدين رخّص للناس في حال السفر أو المرض في الإفطار وقضاء عدّة من أيام أُخَر في الأيام التي أفطروها من أيام شهر رمضان بعد إقامتهم وبعد شفائهم، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[١٤٦]. أي يريد التخفيف على المؤمنين والتسهيل لعلمه بصعوبة ذلك عليهم في هذه الأحوال، ولا يريد بهم الشدّة والمشقّة وتكليفهم مالا يطيقونه لثقله.

---

[١٤٥] رواه الإمام أحمد بن حنبل: موسوعة السنة، المسند، مسند عبد الله بن عمر، ج٢، ص١٠٨، دار سحنون، تونس، ط٢، (١٤٨٣هـ). الرخصة في الأمر خلاف التشديد، والرخصة: ترخيص الله العبد في أشياء خففها عنه، ابن منظور: لسان العرب (رخص) ج ٨، ص٣٠٦، وعزائم الله: فرائضه التي أوجبها وأمرنا بها، نفسه، ج١٥، ص٢٩٣.

[١٤٦] سورة البقرة: آية ١٨٥ وانظر الطبري: تفسيره، ج ٢، ص ٢٢٥.

www.mtenback.com

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٤٧].

وفي صحيح البخاري باب عنوانه: «الدين يسر»، وفيه أن الرسول ﷺ قال: «أحبّ الدين إلى الله الحنيفيّة السمحة»، وقال: «خير دينكم أيسره»[١٤٨]، فكل ما جاء به الدين من الخصال محبوب، ولكن الأحبّ إلى الله ما كان مبنيًّا على السهولة، لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾[١٤٩]، وقال الرسول الكريم: «إن الدين يسر (أي سمح سهل قليل التشديد) ولن يشادّ الدين أحدٌ إلاّ غلبه، فسدّدوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»[١٥٠].

ولا خلاف في أن الكمال غاية محمودة يرجوها المرء ويودّ أن يصل إليها ولكنه إذا أفرط وبالغ وتنطّع في عباداته، فإن ذلك يوصله إلى الفتور والكلال والملال وترك الأفضل والابتعاد عن الأخذ بالرخص الشرعية. والأجدى هو التوسّط في الأعمال في

---

[١٤٧] سورة البقرة: آية ١٧٣.

[١٤٨] ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج ١، ص ١٨٢، والحنيفيّة: ملّة إبراهيم، والحنيف في اللغة مَنْ كان على هذه الملة، وسُمّي إبراهيم حنيفًا لميله عن الباطل إلى الحقّ لأن أصل الحنف هو الميل...، المصدر نفسه في الصفحة نفسها، ولمزيد من الشروح اللغوية انظر: ابن منظور، لسان العرب، (حنف) ج١٠، ص ٤٠٣-٤٠٤.

[١٤٩] سورة الحج: آية ٧٨.

[١٥٠] ومنه أيضًا: «إنكم لن تنالوا هذا الأمر بالمغالبة، وخير دينكم اليُسر:، ابن حجر: فتح الباري، ج١، ص١٨٢-١٨٤. يشادّ: يغالب ويبالغ في الأمر ولا يخفف، الزموا السداد أي الصواب أو التوسط في العمل، قاربوا: اعملوا بما يقرب من الكمال أو اقتصدوا واتركوا المبالغة، الغدوة: الغداة أو سير أول النهار أو ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس، الروحة: المرّة من الرواح، وهو اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل، الدلجة: سير آخر الليل، وقيل سير الليل كله.

www.mtenback.com

غير إفراط أو تفريط، والتمسّك بأسباب الصواب والسداد مع الاقتصاد ونبذ المبالغة، ولن ينقص ذلك من الثواب شيئًا، ما دام بلوغ الكمال ليس أمرًا ممكنًا. أما أحسن الأوقات للأعمال فهو ما كان البدن فيه أروح للعبادة وأكثر خفّة ونشاطًا.

وفي صحيح البخاري باب آخر عنوانه: قول النبي ﷺ: «يسّروا ولا تعسّروا»، أي سهّلوا ولا تضيّقوا في الأمور. وكان النبيّ يحبّ التخفيف والتيسير على الناس، ومن ذلك قوله ﷺ لأبي موسى ومعاذ حين بعثهما إلى اليمن: «يسّرا ولا تعسّرا ولا تنفّرا وتطاوعا»[١٥١]، ومنه أيضًا: «يسّروا ولا تعسّروا وأسْكنوا ولا تنفّروا»[١٥٢].

وعن عائشة: «ما خُيّر رسول الله ﷺ بين أمرين قطّ إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله لنفسه في شيء قطّ إلاّ أن تنتهك حرمة الله فينتقم بها لله»[١٥٣].

وممّا يدلّ على التسامح ويدعو إليه أن ابن عباس رضي الله عنه سئل عن رجل شرب لبنًا مَحْضًا «أي خالصًا بلا رغوة، ولم يخلطه ماءً، حلوًا كان أو حامضًا»: أيتوضّأ؟ فقال: اسْمَح يُسمَح لك[١٥٤]. قال الأصمعي: معناه: سهّل يُسهّل لك وعليك[١٥٥].

وروى بعضهم أنهم كانوا على شاطىء نهر بالأهواز قد زال عنه الماء، فجاء رجل اسمه أبو بَرْزَة الأسلمي على فرس فصلّى، وخلّى فرسه، فانطلقت، فاضطر إلى ترك صلاته، وظلّ يتبعها حتى أدركها فأخذها، ثم رجع فقضى صلاته، فقال واحد

---

[١٥١] رواه البخاري في كتاب المغازي الباب ٦٠، ج٦، ص١٠٨.

[١٥٢] رواه البخاري في كتاب الأدب، الباب رقم ٨٠، انظر: صحيح البخاري، ج٧، ص١٠.

[١٥٣] المرجع السابق نفسه..

[١٥٤] رواه الإمام أحمد بن حنبل، في مسند عبد الله بن عباس، انظر: مسند أحمد، ج١، ص٢٩٦.

[١٥٥] انظر: ابن منظور: لسان العرب، (سمح) ج٣، ص٣١٩.

www.mtenback.com

منهم ذو رأي يلوم أبا برزة على فعله: انظروا إلى هذا الشيخ، ترك صلاته من أجل فرس!!، فأقبل أبو برزة وقال: ما عنّفني أحد منذ فارقت رسول الله ﷺ، ثم قال يعتذر عمّا فعله: إنّ منزلي مُتَراخٍ فلو صلّيت، وتركت، لم آت أهلي إلى الليل. وذكر أنه صحب النبيّ ﷺ فرأى من تيسيره.

ومن المرويّات أيضًا أن رجلاً بال في المسجد، فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله ﷺ: «دعوه، وأهريقوا على بوله ذَنُوبًا من ماء، أو سجلاً من ماء، فإنّما بُعثتم ميسّرين، و لم تبعثوا معسّرين»[١٥٦].

تسامح الإسلام في معاملة غير المسلمين:

ومن صور التسامح في الإسلام والدعوة إليه، أنه لم يجبر غير المسلمين على الدخول فيه رغمًا عنهم، و لم يعمد إلى التعذيب والقهر أو إلى أي من ضروب الإجبار والإذلال.

وقد تصدّى كثير من العلماء المتفهّمين للردّ على المفترين ممن يتهمون الإسلام بالتعصّب الدينيّ[١٥٧] ، فالصحيح أنه وسّع حقوق الإنسان واحترمها و لم يُكره أحدًا على اعتناقه، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[١٥٨]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[١٥٩].

---

[١٥٦] ابن حجر: فتح الباري، ج ١٦، ص ٤١٥-٤١٦. متراخٍ: أي متباعدٌ ما بيني وبينه.

[١٥٧] مما كتب في ذلك: رسالة لرجل مشهور الاسم في فرنسا، جمع فيها ملحوظاته، وسماها: «التسامح الإسلامي»، عبده، محمد: الإسلام دين العلم والمدنية، ص ٧٤.

[١٥٨] سورة البقرة: آية ٢٥٦.

[١٥٩] سورة يونس: آية ٩٩.

www.mtenback.com

وفي ذلك كتب الشاعر الأمريكي رونالد ركويل بعد أن أشهر إسلامه: «لقد راعني حقًا تلك السماحة التي يعامل بها الإسلام مخالفيه: سماحة في السلم وسماحة في الحرب، والجانب الإنساني في الإسلام واضح في كل وصاياه»[١٦٠].

ومن خير الشواهد على التسامح الإسلامي ما كتبه جيمس متْشنر، قال: «اعتقد الغربُ أن توسُّع الإسلام ما كان يمكن أن يتمّ لو لم يلجأ المسلمون إلى السيف، ولكن الباحثين لم يقبلوا هذا الرأي، فالقرآن صريح في تأييده لحرية العقيدة، والدليل قويّ على أن الإسلام رحّب بشعوب مختلفة الأديان مادام أهلها يحسنون المعاملة. وقد حرص محمدٌ على تلقين المسلمين التعاون مع أهل الكتاب، أي اليهود والنصارى. ولا شكّ أن حروبًا قد نشبت بين المسلمين وغيرهم في بعض الأحيان، وكان سبب ذلك أن أهل هذه الديانات الأخرى أصروا على القتال»[١٦١].

وقد عُقدت حديثًا بعض الندوات التي حاولت أن تحدّد مفهوم التسامح وتتحرّى أبعاده وتكشف جوانبه، منها «ندوة التسامح الديني والتفاهم بين المعتقدات» التي عقدت جلساتها بالأمم المتحدة في جنيف بسويسرا من الثالث إلى الرابع عشر من شهر ديسمبر ١٩٨٤م[١٦٢]، ورأى فيها بعضهم أن «أخطر المبادئ والقيم التي ارتفع حولها الحوار اليوم في العالم العربي هي قيمة التسامح بين الأديان والتفاهم بين المعتقدات»[١٦٣].

---

[١٦٠] الذهبي، إدوار غالي: معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، دار غريب للنشر، القاهرة، ط١، (١٩٩٣م)، ص ٤٩.

[١٦١] نوفل، عبدالرزاق: الدعوة إلى الإسلام، القاهرة، مكتبة الوعي العربي، ط ١ (١٩٦٥م) ص ٧١.

[١٦٢] قلادة، وليم سليمان، بالاشتراك مع: حسين أحمد أمين، ومحمد المسماري وآخرين: التسامح الديني والتفاهم بين المعتقدات، القاهرة، الأمانة العامة لاتحاد المحامين العرب، ط ١ (١٩٨٦م) ص ١١.

[١٦٣] المصدر نفسه، ص ١.

www.mtenback.com

ولقد جاء الإسلام لخير الإنسانية، وعمل على أن يصل هذا الخير إلى الناس جميعهم، دون حائل يحول دون هذه الغاية، ومما يصور هذا الشمول الخالص قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[١٦٤].

فللإنسان مكان عالٍ يدل عليه دستور هذه الآية الكريمة بما يكشف عن مساواة مطلقة بين الأجناس البشرية، مساواة لاتعترف بالشعوبيّة المقيتة ولا بامتياز ألوان أو أعراق على أخرى، وإنما التمايز بالعمل الصالح وبما يقدّم كل إنسان من خير.

وهذا الدستور السماوي لا يريد الحرب ولايبغيها لذاتها، بل إنها وسيلة لردّ العدوان والدفاع عن مبادئ الإسلام وإحقاق الحقّ، وليس الهدف من الحرب السيطرة أو الاستعلاء أو الاستغلال أو المزاحمة في الأرزاق[١٦٥]، ولم تكن الحروب لمجرد الرغبة في الفتح والتوسع بحثًا عن عظمة جوفاء، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[١٦٦].

ومنع الإسلام مقاتلة من لم يشتركوا في الحرب، وسنّ ما يلزم اتّباعه في معاملة البلاد المفتوحة في السلم والحرب، ومن هذه السنن أن المسلمين لاينقضون عهودهم

---

[١٦٤] سورة الحجرات: آية ١٣.

[١٦٥] أبو زيد، محمد عبد الحميد: السلام، القاهرة، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، في الإسلام، ص٢٥٤، وانظر، ضيف: العصر الإسلامي، ص٢٤.

[١٦٦] البقرة: آية ١٩٠، وقال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾، ومما فسّره به الطبري يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ: «قل يا محمد للذين صدقوا الله واتبعوك يغفروا للذين لايخافون بأس الله ووقائعه ونقمه إذا هم نالوهم بالأذى والمكروه»، الطبري: تفسيره، ج١١، ص٢٧٥-٢٧٦.

www.mtenback.com

ولايتركون الوفاء بها، وإذا لم يجنح العدوّ إلى السلم فإن الحرب معه تصير اضطـــرارًا، وإذا كانت هناك عهود أو مواثيق بين المسلمين وغيرهم، ويتطلّب الأمر إنهـــاء تلـــك العقود، فإنه يجب المكاشفة وإظهار نيّة نقض تلك المواثيق، حتى يكون الطرف الآخـــر على بيّنة من أمره ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[١٦٧].

ومن الآداب التي يراعيها المسلمون ألا ينهبوا ويخونوا في المغانم ويقتلوا النســـاء والولدان والشيوخ الفانين والرهبان في صوامعهم وبيوت عباداتهم، وألا يحرقوا الديـــار ويقطعوا الأشجار[١٦٨].

وحرم الإسلام التمثيل والتنكيل بجثث الأعداء بقصد التشفّي والانتقـــام، وقـــد أشير على الرسول ﷺ أن يمثل بسهيل بن عمرو - أحد المحرّضين علـــى محاربـــة المسلمين - بأن ينزع ثنيّتيه السفليتين، فلا يستطيع الخطابة، فرفض النبيّ ﷺ وقال: لا أمثل به، فيمثل الله بي، وإن كنتُ نبيًا[١٦٩]. وروي أنه لّما مثل المشركون في غزوة أحد بحمزة وغيره من الشهداء قالت الأنصار لئن أصبنا منهم يومًا من الدهر لنربين عليهـــم فأنزل الله عزّ وجلّ قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾[١٧٠]، فقال ﷺ: نصبر ولا نعاقب[١٧١].

---

[١٦٧] أبو زيد: السلام في الإسلام، ص٢٥٢؛ والآية في الأنفال ٥٨.

[١٦٨] انظر الحوفي، أحمد محمد: سماحة الإسلام، القاهرة، نهضة مصر، ط٣ (د.ت) ص ص ١٥٣-١٥٥؛ أبوزيد: السلام في الإسلام، ص ص ٢٥٢-٢٥٦.

[١٦٩] الحوفي: سماحة الإسلام، ص٥٥.

[١٧٠] سورة النحل: ١٢٦.

[١٧١] رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسند أبي كعب، انظر: مسند أحمد ج٥، ص١٣٥.

www.mtenback.com

أما الأسرى فالشأن معهم وفق ما تتطلّبه المصلحة العامّة، وقد عامل النبيّ ﷺ أسرى بدر معاملة حسنة، ذلك بأنه وزّع الأسرى السبعين على أصحابه، وأمرهم أن يحسنوا إليهم، فكانوا يفضلونهم على أنفسهم في طعامهم ثمّ استشار أصحابه في شأنهم، فأشير عليه بقتلهم، وأشير عليه بفدائهم، فوافق على الفداء، وجعل فداء الذين يكتبون أن يعلّم كلّ منهم عشرة من صبيان المدينة الكتابة. وكذلك أطلق أسرى بني المصطلق، ولما فتح مكة قال لقريش: «ماذا تظنون أني فاعلٌ بكم؟ قالوا: خيرًا، أخٌ كريم، وابن أخٍ كريم. فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، لاتثريب عليكم اليوم، يغفر الله لي ولكم»[١٧٢]. وهكذا كان التسامح مع قريش على الرغم من تعذيبهم للصحابة وإهانتهم لهم.

وأما معاملة غير المسلمين، فيدلّ على التسامح معهم مأثورات كثيرة[١٧٣]، منها ماروي عن جابر بن عبدالله قال: «مرّت بنا جنازة، فقام النبيّ وقمنا، فقلنا: يا رسول الله: إنها جنازة يهوديّ. فقال: أوليست نفسًا؟ إذا رأيتم الجنازة فقوموا»[١٧٤]. ومما يروى أيضًا عن الميل إلى التسامح واستبداله بالعقاب، ما روي من رثاء قتيلة بنت النضر لأبيها النضر بن الحارث واستماع الرسول ﷺ إليه. وكان رسول الله ﷺ مكبرًا[١٧٥]، فقالت ابنته[١٧٦] قتيلة بنت النضر ترثيه:

---

(١٧٢) ابن هشام، أبو محمد بن عدب الملك بن هشام المعافري: السيرة النبوية، قدّم لها وعلق عليها وضبطها: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، لبنان، (١٩٧٥م) ج٤، ص٤١.

(١٧٣) انظر عن ذلك شواهد كثيرة أوردها الوقفي، إبراهيم أحمد في «السماحة في الإسلام والمسيحية»، القاهرة، دار الفكر العربي (١٩٩٠م) ص ٥٨ وما بعدها.

(١٧٤) قطب، سيد: السلام العالمي والإسلام، القاهرة، دار الشروق، ط ٨ (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ص١٧٨.

(١٧٥) الأثيل: موضع بين بدر و وادي الصفراء، قريب من المدينة.

(١٧٦) وفي بعض المصادر مثل العمدة لابن رشيق ومعجم البلدان لياقوت الحموي أنها ابنته. الأصفهاني: =

www.mtenback.com

يَـا رَاكِبًـا إِنَّ الأُثَيْـلَ مَظَنَّـةٌ ... مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّـقُ[177]

أَبْلِـغْ بِـهِ مَيْتًـا بِـأَنَّ تَحِيَّـةً ... مَا إِنْ تَزَالُ بِهَا النَّجَائِبُ تَخْفُـقُ[178]

مِنِّـي إِلَيْـكَ وَعَـبْرَةً مَسْـفُوحَةً ... جَادَتْ بِدِرَّتِهَا وَأُخْرَى تَخْنُـقُ[179]

هَـلْ يَسْـمَعَنَّ النَّضْـرُ إِنْ نَادَيْتُـهُ ... إِنْ كَانَ يَسْـمَعُ هَـالِكٌ لا يَنْطِـقُ

ظُلَّتْ سُيُوفُ بَنِـي أَبِيـهِ تَنُوشُـهُ ... لله أَرْحَـامٌ هُنَـاكَ تَشَـقَّقُ

صَـبْرًا يُقَـادُ إِلَـى المَنِيَّـةِ مُتْعَبًـا ... رَسْفَ المُقَيَّدِ وَهْوَ عَـانٍ مُوثَـقُ[180]

أَمُحَمَّـدٌ وَلأَنْـتَ نَسْـلُ نَجِيبَـةٍ ... فِي قَوْمِهَا وَالفَحْلُ فَحْلٌ مُعْـرِقُ[181]

مَا كَانَ ضَرَّكَ لَـوْ مَنَنْـتَ وَرُبَّمَـا ... مَنَّ الفَتَى وَهُوَ المَغِيـظُ المُحْنَـقُ[182]

= الأغاني، ج ١، ص ٢٠-٢١؛ وانظر: أبوتمام: ديوان الحماسة، ج١، ص ٥٦٢-٥٦٤؛ الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، المدني، ط٥ (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ج ٤، ص٤٣-٤٤؛ ابن رشيق، أبوعلي الحسن القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة، السعادة، ط ٢ (١٣٧٤هـ/١٩٥٥م) ص٥٦-٥٧

(177) معنى البيت: يا راكبًا، يظن أنك تصل إلى الأثيل في صباح الليلة الخامسة، إنْ وُفّقت لطريقك و لم تَحِدْ عنه.

(178) نجائب الإبل: خيارها، مفردها: نجيبة، تخفق: تسرع وتضطرب.

(179) مسفوحة: مصبوبة، الدرّة: تطلق على اللبن وعلى كثرته، والمقصود هنا الدموع الغزيرة.

(180) صبر الإنسان وغيره على القتل أي حبسه ورميه حتى يموت، الرسف هو المشي في القيد، العاني: الأسير أو الذليل.

(181) المعرق في الشيء هو الأصيل فيه، والمعرق من له عرق في الكرم.

(182) المحنق الذي غيظ غيظًا شديدًا.

www.mtenback.com

أَوْ كُنْتَ قَابِلَ فِدْيَةٍ فَلَنَاتِيَنْ ... بِأَعَزَّ مَا يَغْلُو لَدَيْكَ وَيَنْفُقُ

وَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَخَذْتَ بِزَلَّةٍ ... وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِتْقٌ يُعْتَقُ

قال ابن هشام: فيقال والله أعلم: إن رسول الله ﷺ لما بلغه هذا الشعر قال: لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه[١٨٣].

وفي قول الرسول الكريم معانٍ كريمة من التسامح، تُظهر أن الرغبة في العفو أقرب من المعاقبة.

ومما يروى في التسامح مع غير المسلمين أن عمر رضي الله عنه رأى شيخًا ضريرًا يسأل على باب، فسأل فعلم أنه يهوديّ، فقال له: ما ألجاك إلى ما أرى؟ قال: الجزية والحاجة والسنّ، فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منزله، فأعطاه مايكفيه ساعتها، وأرسل إلى خازن بيت المال: انظر إلى هذا وضربائه، فوالله ما أنصفناه أنْ أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم، إنّما الصدقاتُ للفقراء والمساكين، وهذا من مساكين أهل الكتاب.

ولما سافر عمر إلى دمشق مرّ بأرض قوم مجذومين من النصارى، فأمر أن يعطوا من الصدقات وأن يُجرى عليهم القوت[١٨٤].

ومن أمثلة التسامح الديني في عهد الرسول ﷺ ماكان منه مع نصارى نجران، فقد فُتحت نجران سنة عشْر صلحًا، وفي هذه السنة قدم عليه ﷺ وفد نجران، وفيهم السيد واسمه وهب؛ والعاقب واسمه عبد المسيح، والأسقف وهو أبو حارثة، وأراد الرسول مباهلتهم (أي الدعاء باللعنة على الكاذب) فامتنعوا، وصالحوه، فكتب لهم كتاب الصلح، وفيه أن لهم حريّتهم في أداء عباداتهم التي يعتقدونها، ومضى الخلفاء

---

[١٨٣] ابن هشام السيرة النبوية، ج٢، ص٢٨٥.

[١٨٤] سيد قطب، السلام العالمي والإسلام، ص١٧٩ وانظر ص ١٨٣.

www.mtenback.com

الراشدون على إثر الرسول الكريم يقتدون به في معاملة أهل الذمّة معاملة تتّسم بالتسامح[١٨٥].

ويقول بعض المهتمين بقضايا التسامح في معاملة أهل الديانات الأخرى: «يمكن الحكم على مدى هذا التسامح الذي يلفت النظر في تاريخ القرن السابع (الميلادي) من هذه العهود التي أعطاها العرب لأهالي المدن التي استولوا عليها، وتعهدوا لهم فيها بحماية أرواحهم وممتلكاتهم وإطلاق الحرية الدينية لهم في مقابل الإذعان ودفع الجزية»[١٨٦].

ولعلّ عهد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه لأهل بيت المقدس من أشهر تلك العهود التي تبرهن على روح التسامح، فقد قدم عمر الشام، ونزل بالجابية، فأتاه أهل إيلياء، فصالحهم عمر، وكتب لهم أمانًا، ورد فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبدالله أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان. أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمهم وبريئهم وسائر ملّتهم: إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيّزها ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضارّ أحد منهم...»[١٨٧].

---

[١٨٥] انظر: صفوت، أحمد زكي: جمهرة رسائل العرب، القاهرة، الحلبي، ط٢ (١٩٧١م) ج ١، ص٧٥-٧٨، وانظر: عهود أبي بكر وعمر وعثمان وعلي لنصارى نجران في المصدر نفسه، ص٧٩-٨٣. وعن فتح نجران انظر الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ط ٤ (١٩٧٩م) ج٣، ص١٣٩.

[١٨٦] قطب، السلام العالمي والإسلام، ص ١٨٢.

[١٨٧] انظر:العهد كاملاً في الطبري: تاريخه، ج٣، ص ٦٠٩؛ صفوت: جمهرة رسائل العرب، ج ١، ص١٧٥-١٧٦. ويقول شوقي ضيف: إن هذا العهد كان إمامًا لكلّ العهود التي عقدت مع نصارى الشام وغيرهم، العصر الإسلامي، ص ٢٤.

www.mtenback.com

ويعدّ هذا العهد آية من آيات التسامح وقد أقرّ المنصفون بذلك. قال غوستاف لوبون منوّهًا بمظاهر التسامح العربي الإسلامي المتعددة: «تاريخ الإسلام حافل بالسماحة في معاملة الشعوب المغلوبة إلى حدّ لم يعرفه العالم في القديم والحديث.

وإن سلوك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في بيت المقدس ليثبت مقدار الرفق العظيم الذي كان يعامِل العرب الفاتحون به الأمم المغلوبة، وهو على النقيض مما اقترفه الصليبيون في القدس بعد بضعة قرون.

نعم، فقد دخل عمر بيت المقدس وأبدى من التسامح العظيم مع أهلها ما أمنوا به على دينهم وأموالهم وعاداتهم، ولم يفرض عليهم سوى جزية زهيدة.

وأبدى العرب مثل هذا التسامح في المدن السورية الأخرى، فلم يلبث جميع سكانها أن رضوا بسيادة العرب، وانتحل أكثرهم الإسلام.

كذلك أحسن العرب سياسة سكان إسبانية، كما أحسنوا سياسة أهل سورية ومصر، فتركوا لهم أموالهم وكنائسهم وقوانينهم وحق التقاضي إلى قضاة منهم، ولم يفرضوا سوى جزية سنويّة تبلغ دينارًا عن كلّ شريف، ونصف دينار عن كلّ مملوك، فرضي سكان إسبانية بذلك طائعين.

ورضي المصريّون بالفتح الإسلامي، وشكروا لعمرو بن العاص أنه لم يتعرّض لدينهم ونظمهم وعاداتهم وأنه لم يطالبهم بغير جزية سنويّة قدرها دينار عن كل رأس في مقابل حمايتهم.

ولم يتمرّد سوى الروم أي الجنود الموظفون ورجال الدين، أبوا أن يخضعوا للمسلمين فالتجؤوا إلى الإسكندرية، فحاصرها العرب أربعة عشر شهرًا، قُتِل من العرب في أثنائها ثلاثة وعشرون ألفًا.

www.mtenback.com

لكن عمرو كان سمحًا رحيمًا بأهل الإسكندرية، على الرغم من الخسائر التي أصيبَ بها، و لم يقس عليهم ليثأر منهم»[١٨٨].

ومن تتبّع ما روته المصادر الأدبية والتاريخية وغيرها يجد كثيرًا من الشواهد التي تؤكد أن التسامح كان نهجًا انتهجه العرب المسلمون عبر العصور المتعاقبة، ومن ذلك ماروي من أن الحسن البصري كان له جار نصرانيّ، وكان له كنيف على السطح، وقد نقب ذلك في بيته، وكان يتحلّب منه البَوْل في بيت الحسن، وكان الحسن أمر بإناء فوُضع تحته، فكان يُخْرج ما يتجمع منه ليلاً، فمرض الحسن ذات يوم، فعاده النصرانيّ، فرأى ذلك، فقال: يا أبا سعيد، مُذْ كم تحملون منّي هذا الأذى؟، فقال الحسن: منذ عشرين سنة، فقطع النصراني زنّاره وأسلم[١٨٩].

ومن شواهد التسامح أن العرب والموالي «وهم الأعاجم الذين كانوا أسرى حرب ثم اعتنقوا الإسلام وأعتقهم مالكوهم» عاشوا معًا حياة مشتركة تربط بينهم الأخوّة ويجمعهم التعاون، فنهضوا جميعًا يقيمون حضارة على أساس وثيق من الإحساس بقيمة الإنسان، ويمكن أن نتلمّس مظاهر ذلك في البدايات الباكرة للحضارة العربية الإسلامية، منذ القرن الأول الهجري في الحواضر المشهورة كمكّة والمدينة والكوفة والبصرة والفسطاط.

وليس صحيحًا ما زعمه بعض المستشرقين من أن الصراع كان محتدمًا بين العرب والموالي، فالحقيقة أن العلاقة بينهم «كانت تقوم على البّر والتعاون الوثيق»، ولذلك نهضوا جميعًا بالدراسات الدينية والوعظ والإمامة في المساجد والأدب شعره ونثره، يقول شوقي ضيف: «إننا حين نستعرض هذا الجانب نجدهم لايقفون مع العرب

---

[١٨٨] الحوفي: سماحة الإسلام، ص١٦١-١٦٢، نقلاً عن حضارة العرب لجوستاف لوبون.

[١٨٩] التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد: الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢ (١٩٥٣م) ج٢، ص١٢٩.

www.mtenback.com

فيه على قدم المساواة فحسب، بل إنهم يبذّونهم حتى لتصبح منهم الكثرة الكثيرة من علماء الدين ودارسيه»[١٩٠].

وقد سبقت الإشارة إلى أهل الكتاب الذين لا يدينون بالإسلام - وهم المعاهدون أو الذمّيون أو أهل الذّمة، ومن جرى مجراهم من أصحاب الديانات الأخرى الداخلين في حماية المسلمين - وقد تركهم الإسلام على ما يعتقدونه من ملل، بعد أن أُعطوا عهودًا يأمنون بها على أموالهم وأعراضهم وأديانهم، وسُوّي بينهم وبين المسلمين في الحقوق والواجبات العامة، ونهى عن التعرّض لهم في شعائرهم وأوجب احترام عهودهم وإغاثتهم وإسعافهم في الشدائد، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[١٩١].

ويحدثنا التاريخ بأن المسيحيين في البلاد التي فتحها المسلمون وجدوا أنفسهم في أمن وسلام بعد أن خلّصهم المسلمون من قسوة الروم وأذاهم وحنقهم، ويروى أنه لما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن وعسكر أبوعبيدة في فحل، كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب يقولون: «يا معشر المسلمين، أنتم أحبّ إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكفّ عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكن غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا» وأغلق أهل حِمْص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل، وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحبّ إليهم من ظلم الإغريق وتعسّفهم[١٩٢].

---

[١٩٠] ضيف: العصر الإسلامي، ص٢١٤.

[١٩١] سورة العنكبوت: آية ٤٦.

[١٩٢] سيد قطب: السلام العالمي والإسلامي، ص ص ١٨٠-١٨١ نقلاً عن كتاب «الدعوة إلى الإسلام» تأليف: «سير ت. و. أرنولد» وترجمة: حسن إبراهيم حسن وزميليه.

www.mtenback.com

ومن يستقرئ التاريخ الإسلاميّ منذ عصوره الأولى يجد ما يؤكّد هذا المسلك المتسامح تجاه الذميّين أو الكتابيين، يقول آدم ميتز: «ولم يكن في التشريع الإسلامي ما يغلق دون أهل الذمّة أيّ باب من أبواب الأعمال، وكان قدمهم راسخًا في الصنائع التي تدرّ الأرباح الوافرة، فكانوا صيارفة وتجارًا وأصحاب ضياع وأطبّاء، بل إن أهل الذمّة نظموا أنفسهم بحيث كان معظم الصيارفة والجهابذة[١٩٣] في الشام مثلا يهودًا، على حين كان أكثر الأطبّاء والكتبة نصارى، وكان رئيس النصارى ببغداد هو طبيب الخليفة، وكان رؤساء اليهود جهابذة عنده[١٩٤]».

ويقول أيضًا: «وقد أظهر خلفاء الفاطميين الأولون لأهل الذمّة تسامحًا نعجب له.. فقد كان للخلفاء الفاطميين أطباء من اليهود، ولم يحتج هؤلاء الأطباء إلى تغيير دينهم، وعظم نفوذهم حتى صار لا يُعمل شيء في بلاط المعزّ إلا بمعونة اليهود، عرف ذلك الوزير الداهية ابنُ كلّس الذي كان يهوديًا فأسلم، وصار يتحيّز إلى إخوانه في الدين من قبل»[١٩٥].

لقد تسامح الإسلام مع البشر جميعًا، وجعل غايته نشر الأمن والسلام بينهم، وظلّ ذلك ديدن المسلمين والعرب عبر العصور والدول المتعاقبة، والأمثلة على هذه الروح أكثر من أن تُحصى، بل هي من البديهيّات التي لاتحتاج إلى البراهين والشواهد.

ولعل من المفيد في هذا المجال إثبات عهد من العهود التي أعطاها الحكام لأصحاب الملل الأخرى، وهو منشور كتب عن الخليفة العباسيّ في النصف الثاني من

---

[١٩٣] الجهابذة: جمع الجِهبِذ، وهو الذي يشرف على الشؤون الماليّة أو الذي يعمل في الجهبذة أي مهنة الصرافة.

[١٩٤] ميتز، آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة: محمد عبدالهادي أبوريدة، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٣ (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م) ج١، ص٦٨.

[١٩٥] ميتز، آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ص٩٤ -٩٥.

www.mtenback.com

القرن الرابع الهجري إلى الصابئين[١٩٦] يأمر بصيانتهم والمحافظة عليهم وعلى أموالهم، ونسخة هذا المنشور: هذا كتاب منشور من عبدالله بن عبدالكريم لجماعة الصابئين المقيمين بحرّان والرّقة وديار مضر.

إن أمير المؤمنين يأمر بصيانتكم وحراستكم والذبّ عن حريمكم، والحياطة من ورائكم، ودفع الظلم والضيم عنكم، وتوفيتكم ما يوجبه العهد والذّمّة لكم وإنصافكم فيما يجتبى من جواليكم[١٩٧]، وحملكم فيها على عادل رسومكم، والتخلية بينكم وبين مواريثكم الحشريّة[١٩٨] وغيرها: أصولها وفصولها، وكثيرها وقليلها، وترك مداخلتكم فيها، ومشاركتكم في شيء منها على الوجوه والأسباب كلّها، إذ كان أمير المؤمنين يرى فيها وفي مواريث المخالفين بأسرها رأي رسول الله ﷺ في الأثر الثابت عنه إذ يقول: «لا يتوارث أهل ملّتين»، وتمكينكم من حضور مصلّياتكم ومساجدكم ومجامعكم ومشاهدكم، لإقامة فرائض دينكم، على ما جرت به عاداتكم، من غير منع لكم، ولا إلحاق أذيّة ولا هضيمة بكم.

فليُعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين وأمره، وليعملْ به جميع من عُرِض هذا الكتاب عليه، من ولاة الخراج والمعونة والأحكام والمواريث والحسبة وغيرها من الأعمال ومن خاصّة المسلمين وعامّتهم، وليحذروا من مخالفته أو التجاوز له إن شاء الله[١٩٩].

---

[١٩٦] تسمّى الحرّانيون بالصابئة في عصر المأمون وبعده لتُرعى لهم الذّمّة.

[١٩٧] الجوالي: الذين جلوا عن أوطانهم.

[١٩٨] الحشريّ: ميراث مَنْ لا وارث له.

[١٩٩] الصابي، أبو إسحاق إبراهيم بن هلال: رسائله، مخطوط بمكتبة ليدن تحت رقم ٧٦٦، لوحة ٢١١ أ، ٢١٢ب.

www.mtenback.com

ومما يدّل دلالة قوية على التسامح وحسن المعاملة لأهل الملل الأخرى أن كاتب هذا المنشور وهو أبو إسحاق الصابي ظلّ طيلة حياته يتمسّك بمعتقدات الصابئة ويصرُّ عليها[٢٠٠]، مع أن كلّ الدواعي كان يمكن أن تؤثر عليه وتوجهه، لأنه عاش في مجتمع إسلامي وكان يعمل بدور الخلافة والوزارة سنين طويلة، تقلّد فيها المناصب الجليلة، وتولّى ديوان الرسائل في بغداد عدّة مرات، وقد أغراه بعض الكبراء بالإسلام ووعدوه ومنّوه، و«يحكى أن الخلفاء والملوك والوزراء أرادوه كثيرًا على الإسلام، وأداروه بكل حيلة وتمنية جليلة، حتى إنّ عزّ الدولة بَخْتيار عَرَض عليه الوزارة إنْ أسْلَمَ»[٢٠١].

ولعلّ من أشهر ما عُرف في باب الصداقات ما روي عن صداقة أبي إسحاق للشريف الرضيّ محمّد بن الحسين العلويّ مع تباين نسبيهما، وتفاوت سنّيهما، فقد كان بينهما من المودّة الأكيدة والمكاتبات البليغة ما تناقلته كتب الأدب[٢٠٢].

وللشريف الرضيّ عدّة قصائد في رثاء أبي إسحاق، منها مرثيّة مازالت أصداؤها قوية إلى عصرنا، فيها دلالات على روح عصرها وعمق الصلة التي جمعت بين الكتاب والأدباء، وهي من أشهر مراثي العرب وأطولها، وقد حرص الثعالبي على روايتها كلها

---

[٢٠٠] اعتذر الصابي عن ذلك بأنه يترأس جماعة الصابئة، وهم في أشدّ الحاجة إليه وخصوصًا بعد أن تضاءلت أعدادهم أو كما وصفهم ضاقت حلقاتهم.

[٢٠١] الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، القاهرة، الصاوي (١٣٥٤هـ/١٩٣٤م) ج٢، ص١١٩، الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ابن عبدالله: معجم الأدباء، القاهرة، الحلبي، دار المأمون (١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م) ج٢، ص٢١؛ عبد العال، محمد يونس: المختار من رسائل أبي إسحاق الصابي تحقيق ودراسة، رسالة دكتوراه مخطوطة محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة (١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) القسم الأول، ص ٥٨.

[٢٠٢] الرضي، الشريف أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي: ديوانه، بيروت (١٣٠٧-١٣٠٩هـ) ج ١، ص ٢٩٤؛ الحموي: معجم الأدباء، ج ٢، ص ص ٢٣، ٢٤.

www.mtenback.com

«لحسن ديباجتها وكثرة رونقها وجودة ألفاظها ومعانيها واستهلالها»، وتبلغ اثنين وثمانين بيتًا، وأولها[٢٠٣]:

أَعَلِمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الأَعْوَادِ ... أَرَأَيْتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ النَّادِيْ

ومنها:

الفَضْلُ نَاسَبَ بَيْنَنَا إِذْ لَمْ يَكُنْ ... شَرَفِي مُنَاسِبَهُ وَلاَ مِيْلاَدِي

وقد أشار معظم من ترجموا لأبي إسحاق إلى هذه المرثيّة، وكان وجه العجب عندهم أن يتفجّع شاعر من عِتْرةِ النبيّ ﷺ على واحد من الصابئة.

وللشريف الرضيّ مرثيّة نثريّة طويلة وصف فيها ما لحقه من القلق والارتماض، وذكر محاسن أبي إسحاق وفضائله، ووصفه بأنه «الصديق الصادق والحميم الموافق»، وقال عنه: «..إنه كما لم يغيّر لي ودّه في حياته، رماني بالخطب الجليل من وفاته، وانتزعه من يديّ على حين انضمامهما على إخائه، وتشبّثهما بعقد صفائه، وحصوله أخًا في المودّة لصيقًا، ونسيبًا في الفضل عريقًا... فقده أعرى ظهري على كثرة حماتي وأنصاري، وأوحدني على أقاربي وعشائري، وجرّعني من ثكلة غصّة لا أزال أجد مرارتها في لَهَواتي[٢٠٤]، وأحسّ بألمها بين أضلاعي، ما أُطيل لي في الأمد، ورُوخي لي في الطّوَل، حتى لقد ضاقت لذلك مفاسح قلبي، وضعفت حوامل جسمي، وحننت إلى قرب الوفاة، وسئمت تكاليف الحياة.. فإلاّ يكن قريني سِنًّا ولِدَة، فإنه

---

[٢٠٣] الثعالبي: يتيمة الدهر، ج ٢، ص٢٨١-٢٨٥؛ الرضي: ديوانه، ج١، ص٢٩٤-٢٩٨؛ الصابي، إبراهيم بن هلال والرضي، الشريف محمد بن الحسين: رسائل الصابي والشريف الرضي، تحقيق: د. محمد يوسف نجم، الكويت (١٩٦١م) ص ٤٥-٥٥.

[٢٠٤] لهوات: جمع لهاة: اللحمة المشرفة على الحلق. يقال: فلان تُسدُّ به لهوات الثغور.

www.mtenback.com

قريني صفاءً ومودّة، وإلاّ يكن موازني شـــرفًا وحسـبًا، فإنـه مسـاهمي فضـلاً وأدبًا..»[٢٠٥].

ولاشكّ في أن هـذا الحزن يكشف عن عاطفة صادقة و ودّ عميـق وصداقة قويّة، ولكنه زيادة على ذلك يكشف عن تسامح لم يمنع الشريف الرضيّ من الإعجاب بأبي إسحاق الصابي والتنويه بفضله وأدبه[٢٠٦].

والتسامح فضيلة تحلّى بها العرب المسلمون دائمًا، وهم في عصرنا على وفاق مع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى، «خصوصًا أهل الإخلاص وسلامة النيّة منهم» - كما يقول الشيخ محمد عبده - ومن لم يظهر منهم التعصّب الأعمى البارد[٢٠٧].

التسامح والحلم

الحلم هو الأناة والعقل والتثبّت في الأمور[٢٠٨] ، والحليم «هو الذي لايحملـه الغضب أن يفعل ما لم يكن ليفعله في حال الرضا»[٢٠٩]، والحليـم - جَـلّ ثنـاؤه -

---

[٢٠٥] الصابي والرضي: رسائلهما، ص ١٠٣ -١١٢.

[٢٠٦] قيل بأن الشريف المرتضى (كذا، ولعله الرضيّ) كان إذا بلغ راكبًا إلى قبر أبي إسحاق ترجل حتـى يتجاوزه فيركب، فعاتبه أخوه الرضيّ (كذا) على ذلك، فقال: «إنما أعظم درجته في العلم، ولسـت أنظر إلى دينه»، الخوانساري، محمد باقر بن زين العـابدين الموسـوي (ت ١٣١٣هـ/١٨٩٥م): روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، طهران، مكتبة إسماعيليان (د.ت) ج٢، ص ١٦٦.

[٢٠٧] عبده: الإسلام دين العلم والمدنية، ص١٢٢.

[٢٠٨] ابن منظور «لسان العرب» ج١٥، ص٣٥، وقد كثرت الكتابات في المؤلفات العربيّة عـن الحلـم ومحاسنه، ولا تهدف هذه الدراسة إلى استقصاء هذه المؤلفات، ولكن حسبها أن تشير إلى ماوصف به الطرطوشي الحلم، إذ وصفه بأنه «من الخصال التي تجري مجرى الجمال والكمال»، وذلك في بـاب ضاف ممتع حافل بالحكايات والأشعار والأقوال البليغة، عنوانـه: «في الحلـم» (سـراج الملـوك، ص١٥١-١٦١) وأتبعه بباب آخر عنوانه: «فيما يسكن الغضب» (ص١٦١، ١٦٤) وانظر أيضًـا مثل ذلك تحت عنوان: «الحلم سيد الأخلاق» (ص٢٧٣، ٢٧٤).

[٢٠٩] تفسيره الآية ٨٧ من سورة هود في الطبري: تفسيره، ج٧، ص١١٢.

www.mtenback.com

لايعاجل أهل الذنوب بالعقوبة، ولكنه ذو حلم وأناة وعفو عنهم، ليتوب من تاب منهم ويُنيب من أناب[٢١٠].

وتفضي صفة «الحلم» إلى صفات أخرى تشبهها أو تقاربها في المعنى، منها: الصبر على المكاره واحتمال الأمور الشاقة والقدرة على العفو[٢١١]، وذلك أيضًا مما تتضمّنه صفة التسامح.

ولينظر المتأمّل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٢١٢].

فمن معاني هاتين الآيتين: ادفع سيّئة المسيء إليك بالإحسان إليه، فيصير المسيء إليك الذي بينك وبينه عداوة كأنه من ملاطفتك إياه وبرّك، محبّ ونصير لك.

---

[٢١٠] انظر تفسير الآية ٥١ من سورة هود في تفسير الطبري، ج١٠، ص٣٥١ وتفسيرات المفسرين للآيات: البقرة آيات ٢٢٥، ٢٣٥، ٢٦٣؛ آل عمران، آية ١٥٥؛ النساء، آية ١٢؛ المائدة، آية ١٠١؛ التوبة، آية ١١٤؛ هود، آية ٧٥؛ الإسراء، آية ٤٤؛ الحج، آية ٥٩؛ فاطر، آية ٤١؛ الصافات، آية ١٠١؛ التغابن، آية ١٧.

[٢١١] تجمع بعض المصادر القيم أو المناقب أو الصفات المتشابهة في حيز واحد، ومن ذلك ما صنعه الأبشيهي في الباب السادس والثلاثين من كتابه (المستطرف)، فقد جعل عنوانه: (في العفو والحلم والصفح وكظم الغيظ والاعتذار وقبول المعذرة والعتاب وما أشبه ذلك)، المستطرف، ج١، ص٤٠٥-١٢٥.

[٢١٢] فصلت، الآيتان ٣٤-٣٥، وظل المسلمون يتمثلون هذا الهدي القرآني في كل موقف يحتاج إلى اللين والسهولة والتسامح ومعالجة الأمور بالأناة والهوادة. ومن أمثلة ذلك أن الخليفة المنصور جعل هذا القول الكريم في صدر توقيع وقّعه إلى عمّه عبدالله بن عليّ، وذيّله بعبارة: «فاجعل الحظّ لك دوني يكن لك كله»، صفوت: جمهرة رسائل العرب، ج٤، ص ٣٦٨.

www.mtenback.com

وقد فسّر المفسرون الآيتين فأوردوا في ثنايا تفسيراتهم ما يدلّ على معاني الحلم والعفو والصبر، من مثل قول بعضهم في تفسيره: «ادفع يامحمد بحلمك جهل من جهل عليك، وبعفوك عمّن أساء إليك إساءة المسيء، وبصبرك عليهم مكروه ماتجد منهم ويلقاك من قِبلهم»[٢١٣].

وبنحو ذلك فسروا قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾، ففيه أمر باتّباع الصفة التي هي أحسن، وذلك بالإغضاء والصفح وكظم الغيظ والصبر على أذى المشركين وتكذيبهم فيما أتاهم من البيِّنات[٢١٤].

ولايخفى أن الصلة حميمة بين هذه المعاني كلها، وما يتطلبه التسامح من مثلها.

ولكن ثمة فروقًا بين معاني هذه الألفاظ، مهما قيل عن أن بينها مترادفات.

وإذا وازن عاقلٌ بين مايتطلّبه الحلم وما يتطلبه التسامح لوجد أن الفرق طفيف، فالحلم كما وضح من تعريفه يحتاج من صاحبه إلى التروّي والسيطرة على مشاعر الغضب، ولكن ألا يمكن أن يقال مثل ذلك عن التسامح؟ بلى.

وفيما يلي طائفة من أحاديث الرسول ﷺ موضوعها كظم الغيظ والسيطرة على النفس وتحاشي الغضب:

«ليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[٢١٥].

«ما من جرعة يتجرّعها العبد خير له وأعظم أجرًا من جرعة غيظ في الله»[٢١٦].

«من كظم غيظًا وهو يستطيع أن ينفذه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيّره من الحور العين ما شاء»[٢١٧].

---

[٢١٣] الطبري: تفسيره، ج١١، ص١٢٠.

[٢١٤] انظر تفسير الآية ٩٦ من سورة «المؤمنون» في: الطبري: تفسيره، ج٩، ص ٢٦٧-٢٦٨.

[٢١٥] رواه البخاري في كتاب الأدب، الباب ١٠٣.

[٢١٦] ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد: سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب الحلم حديث رقم ٤١٨٩.

[٢١٧] أبو داود، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب من كظم غيظا، حديث رقم ٤٧٧٧.

www.mtenback.com

قال رجل: يا رسول الله، ما أشدّ من كلّ شيء؟

قال: غضب الله.

قال: فما يُنجي من غضب الله؟

قال: لا تغضب[٢١٨].

في هذه الأحاديث الشريفة حثّ يشتمل ضمنًا على التسامح. فإدراك الإنسان لطبيعة مشاعره ومراقبته لانفعالاته وغضبه يحمله على أن يتأنّى ويتلبّث، حرصًا على الصواب ودفعًا لظلم قد يقع، وذلك كله يوصله إلى التسامح.

ومن الحكايات المعبّرة مايروى من أن عمر بن عبد العزيز كان واجدًا (أي غاضبًا) على رجل، فأُتي به، وأمر بضربه، ولكن عمر راجع نفسه فقال: (لولا أني غضبانُ عليك لضربتك) ثمّ خلّى سبيله[٢١٩].

ومن الأمثال مايدعو إلى التماسك وكبح جماح النفس الغاضبة، مثل: من أطاع غضبه أضاع أدبه[٢٢٠]، والمراد بالأدب هنا أدب النفس ورياضتها بالتعليم والتهذيب على ماينبغي[٢٢١]، فما أسهل أن تضيع كل المحامد إذا ما انصاع الإنسان إلى دواعي الغضب، فيضيع الحلم والعفو والتسامح.

في مثل هذا المعنى ذي الأبعاد الأخلاقية يقول المثل «الغضب غول الحلم» أي يهلكه ويغتاله، كما يقال: «أية غول أغْوَل من الغضب»[٢٢٢]، وهذا أيضًا مشمول بإطار الدعوة إلى التذرّع بالحلم وتجنّب الغضب.

---

[٢١٨] القرطبي: تفسيره، ج٢، ص ١٥٥٤.

[٢١٩] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص ٤٥٦.

[٢٢٠] المصدر السابق، ج٢، ص ٣٢٧.

[٢٢١] ومن معاني الأدب: مايتأدب به الأديب من الناس، وقد سُمّيّ الأديب أديبًا لأنه يأدب، أي يدعو، إلى المحامد وينهى عن المقابح، ابن منظور: لسان العرب (أدب) ج١، ص٢٠٠.

[٢٢٢] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص٦١، وانظر ابن منظور: لسان العرب، ج١٤، ص٢٠.

www.mtenback.com

وقد قرن العرجيّ الشاعر بين الكظم والتبصّر والتصبرّ وعلوّ القدر، فقال[٢٢٣]:

وَإِذَا غَضِبْتَ فَكُنْ وَقُـوْرًا كَاظِمًـا ... لِلْغَيْظِ تُبْصِرُ مَـا تَقُـوْلُ وَتَسْـمَعُ

فَكَفَى بِـهِ شَـرَفًا تَصَـبُّرُ سَـاعَةٍ ... يَرضَى بِهَـا عَنْـكَ الإِلَـهُ وَتُرْفَـعُ

وفي التاريخ الإسلامي العربيّ أعلام مشهورون بالحلم ولهم في ذلك أخبار وآثار مذكورة، منهم: معاوية بن أبي سفيان والمأمون[٢٢٤]. وأشهر من وصف بالحلم في الثقافة العربيّة هو الأحنف بن قيس، لذلك ضُرب به المثل فقيل: «أحلم من الأحنف»[٢٢٥].

وفي بعض الحكايات التي تروى عن حلمه شواهد على تسامحه الكبير وتغاضيه عن إساءات الآخرين وصفحه، ومن ذلك أن رجلاً أشرف عليه، وهو يعالج قدرًا له يطبخها، فقال الرجل يسخر منه:

وَقِدْرٍ كَكَفِّ القِـرْدِ، لاَ مُسْـتَعِيْرُهَا ... يُعَـارُ، وَلا مَـنْ يَاتِهَـا يَتَدسَّـمُ

فقيل ذلك للأحنف، فقال: يرحمه الله، لو شاء لقال أحسن من هذا[٢٢٦]!

ومع هذا الحلم الذي ضرب به المثل، اعترف الأحنف بأن هناك من هو أحلم منه، فقد سئل: هل رأيت أحلم منك؟ قال: نعم، وتعلّمت منه الحلم، قيل: ومن

---

[٢٢٣] القرطبي: تفسيره، ج٢، ص١٥٥٤.

[٢٢٤] الطرطوشي: سراج الملوك، ص ١٥٩-١٦١؛ الأبشيهي: المستطرف ج١، ص ٤٠٨-٤١٢.

[٢٢٥] الميداني: مجمع الأمثال ج١، ص٢١٩؛ وانظر الثعالبي، أبومنصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف (د.ت) ص٨٩.

[٢٢٦] الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص ٢١٩ - ٢٢٠ ويتدسّم أي يأكل الدسم وهو اللحم والشحم أو دهنهما، وقد أورد ابن منظور البيت الشعري وذكر أن سيبويه أنشدْه لابن مقبل، لسان العرب (دسم) ج١٥، ص٩٠.

www.mtenback.com

هو؟، قال: قيس بن عاصم المنقري، حضرته يومًا وهو محتب يحدثنا، إذ جاؤوا بابن لـــه قتيل، وابن عمٍّ له كتيف[٢٢٧]، فقالوا: إن هذا قتل ابنك هذا، فلم يقطع قيس حديثـــه، ولا نقض حبوته، حتى إذا فرغ من الحديث التفت إليهم، فقال: أين ابني «فـــلان»؟ فجاءه، فقال: يابنيّ، قم إلى ابن عمّك فأطلقه، وإلى أخيك فادفنـــه، وإلى أمّ القتيـــل فأعطها مائة ناقة، فإنها غريبة، لعلها تسلو عنه.

ثم اتّكأ على شقّه الأيسر وأنشأ يقول:

إِنِّـــي امْـــرُؤٌ لا شَـــائِنٌ حَسَـــبِي ... دَنَـــسٌ يُغَـــيِّرُهُ وَلا أَفْـــنُ

مِـــنْ مِنْقَـــرٍ مِـــنْ بَيْـــتِ مَكْرُمَـــةٍ ... والغُصْـــنُ يَنْبُـــتُ حَوْلَـــهُ الغُصْـــنُ

خُطَبَـــاءُ حِيْـــنَ يَقُـــوْلُ قَـــائِلُهُمْ ... بِيْـــضُ الوُجُـــوهِ أَعِفَّـــةٌ لُسْـــنُ

لا يَفْطُنُـــونَ لِعَيْـــبِ جَـــارِهِمُ ... وَهُـــمُ لِحِفْـــظِ جِـــوَارِهِ فُطْـــنُ[٢٢٨]

ثم أقبل قيس على القاتل، فقال: قتلتَ قرابتك، وقطعتَ رحِمَـــك، وأقللـــتَ عددك، لا يُبْعِد الله غيرك.[٢٢٩]

وتظهر هذه الحكاية كيف أن قيسًا بلغ الغاية في التسامح، فلم يعـــاقب ابـــن عمه،كما تظهره في شعره مفتخراً بنفسه وبعشيرتـــه لأنهم يتجاوزون عـــن عيـــوب

---

[٢٢٧] احتبى فلان أي جلس على أليتيه وضمّ فخذيه وساقيه إلى بطنه بذراعه ليستند، والحبوة (بضم الحـــاء وفتحها وكسرها) هي الاحتباء أو ما يحتبى به من ثوب ونحوه، الكتيف بمعنى المكتـــوف أي الـــذي شُدّت يداه من خلفه بالكتاف.

[٢٢٨] الأفْن: نقص العقل، اللُّسْن: جمع الألسَن وهو الفصيح البليغ، ويقال: فطِن فلان للأمر أي تنبّه لـــه، فهو فاطِن وفطِن وفطين.

[٢٢٩] الميداني: مجمع الأمثال ج ١، ٢١٩-٢٢٠؛ ابن قتيبـــة: عيـــون الأخبـــار، ج١، ص٢٨٦-٢٨٧؛ الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص٤٠٦.

www.mtenback.com

جيرانهم ويتغافلون، كأنّهم غير متنبّهين لها، ولكن هؤلاء الجيران لايغيب عن بالهم ذلك التسامح الناتج عن إحساس جميل بالحفاظ على الجوار.

وتشبه حكاية قيس هذه، حكاية أخرى تروي أن أعرابيًا قَتَل أخوه ابنًا له، فهالته الفجيعة المتفاقمة، فقال حزينًا متسلّحًا بالتسامح[٢٣٠]:

أَقُولُ لِنَفْسِي تَاسَاءً وَتَعْزِيَةً ... إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدِ

كِلا هُمَا خَلَفٌ مِنْ فَقْدِ صَاحِبِهِ ... هَذَا أَخِي حِيْنَ أَدْعُوْهُ وَذَاوَلَدِيْ

فذلك الأعرابي لم يثأر لابنه كما هو مُتوقّع، بل رأى بعد أن أمعن في التفكير وتمثّل الأمثال أن كلّ واحد من ابنه المقتول وأخيه القاتل عوض من فقد الآخر.

ولو تصفّح القارىء ما وصل إلينا من الأخبار والحكايات وغيرها بما اشتملت عليه من طرائف ونوادر وحكم لهاله ما يجد فيها من مواقف تحفل بالمشاعر الإنسانية والشحنات العاطفية، وتعكس اتجاهات المجتمع العربي عبر أزمنته المتعاقبة، وكثير من هذه المواقف يكشف عن خلق العربي الأصيل في التسامح، وإكباره لذلك الخُلق وتقديره لفضله.

ومن الملحوظ أن الشيم أو القيم الأخلاقية الطيّبة لا يغني بعضها عن بعض، أي أنها كُلٌّ يعسر تجزئته، إذ تُسْلم كلّ قيمة منها إلى الأخرى، فالصلة بينها جميعها وثيقة، كالصلة بين الحلم والتسامح، وذلك مما سبق التلميح إليه، أو كالصلة بين الحِلم والعِلم التي عبّر عنها المثل بقوله[٢٣١]: «ما أضيف شيء إلى شيء أحسن من علم إلى حلم»[٢٣٢].

---

[٢٣٠] أبو تمام: ديوان الحماسة، ج١، ص ١٠٢ -١٠٣، التأساء: المواساة والتسلية والتعزية وطلب الصبر.

[٢٣١] الميداني: مجمع الأمثال، ج ٢، ص٢٦٧.

[٢٣٢] مماهو جدير بالذكر دائمًا أن المصادر الدينية والتاريخية والأدبية وغيرها حافلة بالإشارات إلى الفضائل والقيم التي تغنّى بها العربيّ منذ العصور الأولى، ومن هذه المصادر: =

www.mtenback.com

وهذا هو أحد الشعراء يقتفي معنى هذا المثل فيقرن الحلم أيضًا بالعلم، وهما فضيلتان شريفتان، وهو لم يفعل ذلك لما بين اللفظين من مجانسة صوتية، بل لما رآه بينهما من ارتباط وتلازم فهما صنوان لا يفترقان، قال[٢٣٣]:

اَلحِلْمُ وَالعِلْمُ خَلَّتَا كَرَمٍ ... لِلْمَرْءِ زَيْنٌ إِذَا هُمَا اجْتَمَعَا

صِنْوَانِ لا يَسْتَتِمُّ حُسْنُهُمَا ... إِلاّ بِجَمْعٍ لِذَا وَ ذَاكَ مَعَا

كَمْ مِنْ وَضِيْعٍ سَمَا بِهِ العِلْمُ وَالْـ ... ـحِلْمُ فَنَالَ العُلاءَ وَارْتَفَعَا

وَمِنْ رَفِيْعٍ البِنَا أَضَاعَهُمَا ... أَخْمَلَهُ مَا أَضَاعَ فَاتَّضَعَا

كلماتٌ أخيرة عن التسامح

التسامح عاطفة غيريّة نبيلة تمنح وتهب الأثرة والأنانية. والتسامح يعني التوسّط والاعتدال، فإذا شرّقت فرقة نحو الإفراط والشدّة ومجاوزة الحدّ وحمّلت الأنفس ما لا تُطيق،وإذا غرّبت فرقة أخرى إلى التفريط والتساهل والتقصير والتضييع؛ فإن التسامح يتوخّى الموقف المساير للنوازع الإنسانية فيجعل كلّ شيء قَصْدًا متوسطًا.

= ـــ البيهقي: المحاسن والمساوي، وفيه عن محاسن العفو، ج ٢، ص ص٢٩٣-٣٠٧ وعن محاسن الحلم، ج٢، ص٣١٣-٣١٦.

ـــ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: التاج في أخلاق الملوك، تحقيق: أحمد زكي باشا، القاهرة، الأميرية، ط١ (١٣٣٢هـ/١٩٩٤م) وفيه عن حدّ الإغضاء عن الزلات ومواطن المعاقبة عليها، ص٤٥ وعن عدم المعاقبة في حال الغضب، ص٥١ وعن تغافل الملك عن الصغائر، ص٩٩-١٠٤.

ـــ الوطواط، إبراهيم بن يحيى: غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، القاهرة، الكلية، ط١ (١٣٣٠هـ/١٩١٢م) وفيه ثلاثة فصول عن العفو، ص٢٥٣-٢٧٢.

[٢٣٣] روى ابن قتيبة هذه الأبيات بعد قوله: «وكان يقال: العلم أشرف الأحساب والمودّة أشدّ الأسباب» عيون الأخبار، ج ٢، ص ١٢١.

www.mtenback.com

وليس التسامح ضعفًا، إن أخطأ بعض الناس حين ظنّوا بالمتسامح الظنون، فتوهّموا أنه هيّن مضيّع للحقوق، وممّن تنبّه إلى ذلك الأحنف بن قيس، الذي كان معتدًا بنفسه مؤثِرًا للشرف والكرامة على الذلّة والضعف، مهما صاحبهما من الغنى، يروى أنه قال: ما أحبّ أن لي بنصيبي من الذّلّ حُمْرَ النَّعَم ، فقيل له: أنت أعزّ العرب، فقال: إن الناس يرون الحلم ذلاً[٢٣٤]. أراد الأحنف أن يقول إن له رأيًا مخالفًا لما يراه كثير من الناس وهو أن الحلم ليس هوانًا وضعفًا.

ويشبه قول الأحنف بيت شعريّ يرى فيه ناظمه أن الحلم الصحيح ما كان عن قدرة لاعن عجز وقلة حيلة[٢٣٥]:

إنَّ مِنَ الحِلْمِ ذُلاً أَنْتَ عَارِفُهُ وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكَرَمِ

وفي ذلك نوع من المداراة والملاينة والرفق وحسن المعاشرة ومداراة الناس أخذ جانب الاتفاق معهم وعدم الاعتراض الشديد عليهم أو الاختلاف، إذا لم يكن الاختلاف على مبادئ وثوابت لا يقبل المرء فيها التسامح.

وثمة تفريق بين المداراة والمداهنة، ذلك أن المداهنة كما عرفها بعضهم هي «أن تداري الناس على وجه يذهب فيه دينك، والمداراة مخالفتهم على وجه يسلم لك دينك». ولذا قيل: «من دارى سلم، ومن داهن أثِم» ومعنى ذلك أن المداهنة منهيّ عنها لأن فيها نفاقًا وغشًا، أما المداراة فمأمور بها[٢٣٦].

---

[٢٣٤] الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص٢٢٠، حُمْر النَّعَم: كرائمها، مفردها حمراء، والنَّعَم: المال السائم، وأكثر مايقع هذا الاسم على الإبل، جمعه: أنعام.

[٢٣٥] المصدر السابق، ج٢، ص٣٧.

[٢٣٦] الطرطوشي: سراج الملوك، ص٢٧٩، وراجع ابن منظور (دهن) ج١٧، ص١٩، (درى) ج١٨، ص٢٧٩.

www.mtenback.com

ولكن شرط التسامح أن يكون في حال القوة، أما الضعيف المقهور فليس له أن يدّعي التسامح، وإلى قريبٍ من هذا المعنى ذهب بعض المفسّرين في بيان معنى قوله تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ (٢٣٧)، أي الذين عندهم القدرة، ولكنهم اختاروا بإرادتهم ألا يعاقبوا الناس على ظلمهم وإساءتهم، وقد أوضح ذلك الطبري بقوله إن الصافحين «عن الناس عقوبة ذنوبهم إليهم، وهم على الانتقام منهم قادرون فتاركوهم لهم» (٢٣٨).

ولا يُجدي التسامح أو الرفق أو الحلم أو غيره إذا تعرّض الإنسان للظلم، قال الشاعر (٢٣٩):

إِذَا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةً ... فَبِالْحِلْمِ سُدْ لاَ بِالتَّسَرُّعِ وَالشَّتْمِ

وَلِلْحِلْمُ خَيْرٌ - فَاعْلَمَنَّ- مَغَبَّةً ... مِنَ الجَهْلِ إِلاَّ أَنْ تُشَمَّسَ مِنْ ظُلْمِ

فالسيادة تتأتّى بالأناة والرفق لا بالتسرع والسّفه، والحلمُ حميد العاقبة إلا إذا تعرّض الإنسان لظلم وعاداه الآخرون وعاندوه دون حقّ، فحينئذ يتخلّى المظلوم عن حلمه أو تسامحه.

ويعزّز هذا المعنى شاعر آخر يرى أن المجد لايواتي من يريدونه إلاّ إذا توسّلوا بالرفق والتساهل ولين الجانب، ولكن الشاعر جعل لذلك شرطًا، فقال (٢٤٠):

---

(٢٣٧) الآية ١٣٤ من سورة آل عمران: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، السرّاء والضرّاء أي الرخاء والشدّة، أو الصحّة والمرض، أو الحياة وبعد الموت الكاظمين الغيظ: الذين يحتملون أسبابه ويصبرون عليه.

(٢٣٨) الطبري: تفسيره، ج٣، ص٥٩٢.

(٢٣٩) أبو تمام: ديوان الحماسة، ج٢، ص٨ المغبّة: عاقبة الشيء وآخره، شمّس فلان لفلان أي همّ به ليؤذيه، وشامسه أي عاداه وعانده.

(٢٤٠) القرطبي: تفسيره، ج٢، ص ١٥٥٤؛ وأورد ابن قتيبة البيتين، ورواية الشطر الثاني من البيت الثاني عنده: «لاصفح ذلٍّ ولكن صفح أحلام»، عيون الأخبار، ج١، ص٢٨٧، وقوله «يذلّوا» ليس معناه أن يكونوا مهانين ضعفاء أذلاّء، ولكنه بمعنى التساهل والرفق والرحمة ولين الجانب.

www.mtenback.com

لَنْ يَبْلُغَ المَجْدَ أَقْـــوَامٌ وَإِنْ شَـــرُفُوا حَتَّى يَذِلُّوا – وَإِنْ عَزُّوا – لأَقْـــوَامِ
وَيُشْتَمُوا فَـــتَرَى الأَلْـــوَانَ مُشْـــرِقَةً لاعَفْـــوَ ذُلٍّ وَلَكِـــنْ عَفْـــوَ إِكْـــرَامِ

فالعفو ينبغي ألاّ يكون عفو الضعفاء المهانين، ولكن عفو المنزّهين أنفسهم عـــن الشائنات، القادرين على أن يردّوا إساءات المسيئين.

وإذا كان التسامح قيمة خلقية وإنسانية كبيرة، فمن الواجب أن يقابل بالعرفان والامتنان والشكر، مثله في ذلك مثل كلّ طيّب في نبل ومروءة.

ومما يدلّ على هذا الشكر الواجب قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٢٤١].

وقد فسره المفسّرون بقولهم: تركتُ معاجلتكم بالعقوبة لتشكروني على عفوي عنكم، إذ كان العفو يوجب الشكر على أهل اللبّ والعقل[٢٤٢].

ويبقى القول إن التسامح إنما هو في حقيقته أمن وتعاون وتآلف وتشييد وعمران واعتداد بالحجّة والبرهان، وهو أيضًا في حقيقته سِلم وسلام، قال تعـــــالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[٢٤٣].

وليس ثمّة أسمح ولا أروع ولا أشمل ولا أكثر مودّة ولا أدعى إلى نزع فتائل الشرور من تحيّة الإسلام الخالدة: «السلام عليكم»، فـ «السلام تحيّة لملّتنا وأمان لذمّتنا»[٢٤٤].

---

[٢٤١] سورة البقرة: الآيتان ٥١-٥٢.

[٢٤٢] الطبري: تفسيره، انظر: ج١، ص٤٢٤.

[٢٤٣] سورة البقرة: آية ٢٠٨.

[٢٤٤] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص ٤٥٠.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مصطفى بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ... الآية﴾	٢٥٦	٥٤
	﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً... الآية﴾	٥١-٥٢	٧٩
	﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ... الآية﴾	٥٨	١٦
	﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ... الآية﴾	١٠٩	١٤
	﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ... الآية﴾	١٧٣	٥٢
	﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ... الآية﴾	١٨٥	٥١
	﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ... الآية﴾	١٩٠	٥٦
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً... الآية﴾	٢٠٨	٧٩
آل عمران	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ... الآية﴾	١٣٤	٧٨
المائدة	﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ... الآية﴾	١٣	١٤
الأنفال	﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً... الآية﴾	٥٨	٥٧
يونس	﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ... الآية﴾	٩٩	٥٤
الرعد	﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ... الآية﴾	٢٢	٤٦
النحل	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ... الآية﴾	١٢٥	٤٧
	﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ... الآية﴾	١٢٦	٥٧
الحج	﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ... الآية﴾	٦٠	١٥
	﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِن... الآية﴾	٧٨	٥٢
المؤمنون	﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَم... الآية﴾	٩٦	٧١
القصص	﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ... الآية﴾	٥٤	٤٦
العنكبوت	﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ... الآية﴾	٤٦	٦٤
فصلت	﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ... الآية﴾	٣٤-٣٥	٧٠

www.mtenback.com

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
الشورى	﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ... الآية﴾	٣٧	١٦
الجاثية	﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ... الآية﴾	١٤	٥٦
الأحقاف	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ... الآية﴾	١٦	١٧
الحجرات	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى... الآية﴾	١٣	٥٦
الحشر	﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.. الآية﴾	٩	٨
التغابن	﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُو... الآية﴾	١٤	١٥

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«أسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي»	١٧
«أتبع السيئة الحسنة تمحها»	٤٦
«أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة»	٥٢
«أوليست نفساً...»	٥٨
«إنه كان يرد عنك ملك...»	٢٦
«إذا كان يوم القيامة...»	٢٧
«إن الله تجاوز عن أمتي...»	١٧
«إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه»	٥١
«إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه»	٥٢
«تعافوا الحدود فيما بينكم»	١٣
«خير دينكم أيسره»	٥٢
«دعوه، وأهريقوا على بوله ذنوباً»	٥٤
«رحم الله رجلاً سمحاً...»	٣٤
«رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد...»	٧٧
«... ما أشدّ من كل شيء؟ قال: غضب الله...»	٧٢
«لا يتوارث أهل ملتين»	٦٦
«لو سمعت هذا قبل أن...»	٦٠
«ليس الشديد بالصرعة...»	٧١
«ما من جرعة يتجرعها العبد...»	٧١
«ماذا تظنون أني فاعل بكم...»	٥٨
«ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين...»	٥٣

www.mtenback.com

الحديث	الصفحة
«من كظم غيظاً...»	٧١
«يسّرا ولا تعسّرا وبشّرا ولا تنفّرا وتطاوعا»	٥٣
«يسّروا ولا تعسّروا...»	٥٣

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ى ـ		
إني امرؤ	هواها	–	١	١٢
		ـ ء ـ		
دع	القضاءُ	الشافعي	٥	١٠
		ـ ب ـ		
ولكن	أذهبا	–	١	٣٦
ولست	المهذبُ	النابغة الذبياني	١	٣٨
إذا كنت	تعاتُبُهْ	بشار بن برد	٣	٤٠
أخٌ	خطوبُها	–	٢	٣٩
ومن	عاتبُ	كثير بن عبدالرحمن	٢	٣٩
		ـ د ـ		
غلب	وسادَها	جرير	١	١٠
يعاتبني	حمدا	المقنع الكندي	١٠	٢٠
إن السماحة	محمدِ	–	٢	٩
أقول	تردِ	–	٢	٧٥
الفضل	ميلادي	الشريف الرضي	١	٦٨
أعلمت	النادي	الشريف الرضي	١	٦٨
إنا لنصفح	الأصيدِ	مضرّس بن ربعي	٧	٨٥
		ـ ر ـ		
اقبل	نزرا	الرياشي	٢	٣٩

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
وإني لأستحيي	أتعذّرا	ابن مقبل	١	٧
أحب	وقرا	–	٥	٣٧
في فتية	يدثرِ	–	١	١٠
		ـــ س ـــ		
إقدام	إياسِ	أبو تمام	١	١٠
		ـــ ض ـــ		
ولست	أرضي	–	٤	٢٠
واستنقذ	الدّحضِ	–	٤	١٩
وإني لأستغني	قرضي	–	٤	١٨
		ـــ ع ـــ		
إني إذا	قطعا	المتوكل الليثي	٤	٤٠
الحلم	اجتمعا	–	٤	٧٦
وإذا غضبتَ	تسمعُ	العرجي	٢	٧٣
ولا أدفع	الجنادعُ	محمد بن عبدالله الأزدي	٣	٢٢
		ـــ ف ـــ		
خير	عفا	أبو نواس	١	٤٦
		ـــ ق ـــ		
وللدهرِ	أخلقا	عقيل بن علّفة	٢	٤٥
قد جعل	طرقا	زهير بن أبي سلمى	٢	٩
يا راكباً	موفقُ	قتيلة بنت الحارث	١٠	٥٩
إذا ما	بمفيقِ	–	٢	٣٩

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
أغمّض	صديقي	ابن الأعرابي	١	٣٩
		ـ ل ـ		
ولا تسأل	بخلْ	القاسم بن يوسف	٣	٤١
على مكثريهم	البذلُ	زهير بن أبي سلمى	١	٨
اصبر	رجُلِهْ	–	٥	٣٨
		ـ م ـ		
وقدر	يتدسمُ	–	١	٧٣
وكم من	علقمُ	المؤمل بن أميل المحاربي	٢	٤٤
سألزم	الجرائمُ	محمود الوراق	٥	١٥
إذا شئت	الشتمِ	–	٢	٧٨
أثني	أظلمِ	عنترة بن شداد	١	١٢
لن يبلغ	لأقوامِ	–	٢	٧٩
إنّ من	الكرمِ	–	١	٧٧
		ـ ن ـ		
تبكي	هيمانُ	–	١	٧
إني	أفن	قيس بن عاصم	٤	٧٤
أقرر	ذنبانِ	–	١	١٨
		ـ هـ ـ		
تجود	لافظهْ	–	١	١١

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

المثـــل	الصفحة
«اتق الله في جنب أخيك ولا تقدح في ساقه»	٤٢
«اصطناع المعروف يقي مصارع السوء»	٣٣
«أجرِ الأمور على أذلالها»	٣٥
«أحلم من الأحنف»	٧٣
«أسمح من مخّة الوبر»	٧
«أسمح من لافظة»	١١
«أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم»	٤٣
«إن لم تُغضِ على القذى لم ترضَ أبداً»	٤٢
«إن من مكارم أخلاق أهل الدنيا والآخرة أن تصل من قطعك....»	١٤
«أية غول أغول من الغضب ؟»	٧٢
«تناس مساوي الناس، يدم لك ودهم»	٤٢
«الرباح مع السماح»	٣٤
«الرفق يمن والخرق جهل»	٤٦
«السلام تحية لملتنا وأمان لذمتنا»	٧٩
«العفو عن المجرم من موجبات الكرم، وقبول المعذرة من محاسن الشيم»	٣٤
«لا يصلح رفيقاً من لم يبتلع ريقاً»	٤٣
«لولا الوئام لهلك الأنام»	٣٣
«ملكتَ فأسجح»	١٦
«من لم يصبر على كلمة سمع كلمات»	٤٥
«مَن لك بأخيك كله»	٣٧
«هو أسمح من مخة الوبر»	٧
«وفي العتاب حياة بين أقوام»	٤٢

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

إبراهيم، محمد طارق:

قصص الأطفال في الأدب العربي الحديث، رسالة ماجستير مخطوطة بمكتبة كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٨م.

الأبشيهي، محمد بن أحمد بن منصور:

المستطرف في كل فن مستظرف، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين:

الأغاني، القاهرة، مصورة الهيئة المصرية العامة للكتاب، عن طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٢م.

أمين، أحمد:

- ظهر الإسلام، القاهرة، النهضة المصرية، ط٤، ١٩٦٦م.
- ضحى الإسلام، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م.

أمين، أحمد:

ألف حكاية وحكاية من الأدب العربي القديم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

البيهقي، إبراهيم بن محمد:

المحاسن والمساوئ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٦١م.

www.mtenback.com

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي:

- ديوانه، تحقيق: محمد عبده عزام، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٦٩م.
- ديوان الحماسة، نشر: محمد عبدالمنعم خفاجي، القاهرة، محمد علي صبيح، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

التنوخي، أبو علي المحسّن بن علي:

المستجاد من فعلات الأجواد، القاهرة، دار الجيل، ط١، ١٩٨٥م.

التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس:

- الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢، ١٩٥٣م.
- البصائر والذخائر، تحقيق: د. إبراهيم الكيلاني، دمشق، الإنشاء، ١٩٣٤م.

الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل:

- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، القاهرة، الصاوي، ١٣٥٢هـ/١٩٣٤م.
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، د.ت.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر:

البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، المدني، ط٥، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- التاج في أخلاق الملوك، تحقيق: أحمد زكي باشا، القاهرة الأميرية، ط١، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م.

www.mtenback.com

ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي:

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، نشر: طه عبدالـــــرؤوف ســـعد، القاهرة، دار الغد العربي، ط١، ١٤١٢هـــ/١٩٩٢م.

الحوفي، أحمد محمد:

سماحة الإسلام، القاهرة، نهضة مصر، ط٣، د.ت.

الخوانساري، محمد باقر بن زين العابدين الموسوي:

روضات الجنان في أحوال العلماء والسادات، طهران، مكتبة إسماعيليـــــان د.ت.

الذهبي، إدوار غالي:

- النموذج المصري للوحدة الوطنية، القاهرة، الهيئـــة المصريـــة العامـــة للكتاب، ١٩٩٨م.
- معاملـــة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، القـــاهرة، غريـــب، ط١، ١٩٩٣م.

الراغب الأصبهاني، أبو القاسم حسين بن محمد:

محاضرات الأدباء، الشرفية، ١٣٢٦هـــ.

ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني:

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد القاهرة، السعادة، ط٢، ١٣٧٤هـــ/١٩٥٥م.

الرضي، الشريف أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي:

ديوانه، بيروت، ١٣٠٧ - ١٣٠٩هـــ.

www.mtenback.com

زهير بن أبي سلمى:

شعره، تحقيق: فخر الدين قباوة، بيروت، دار الآفاق، ط٣، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

أبوزيد، محمد عبدالحميد:

السلام في الإسلام، القاهرة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

الشكعة، مصطفى:

- معالم الحضارة الإسلامية، بيروت، دار العلم للملايين، ط٥، ١٩٨٧م.
- الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٦٨م.

الصابي، أبو إسحاق إبراهيم بن هلال:

- رسائله، مخطوط محفوظ بمكتبة برلين، تحت رقم ٧٦٦.
- رسائل الصابي والشريف الرضي، تحقيق: محمد يوسف نجم، الكويت، ١٩٦١م.

صفوت، أحمد زكي:

جمهرة رسائل العرب، القاهرة، الحلبي، ط٢، ١٩٧١م.

الصولي، أبوبكر محمد بن يحيى:

أخبار الشعراء المسمّى كتاب: الأوراق، نشر: ج هيوارث دن، القاهرة، الصاوي، ط١، ١٩٣٤م.

ضيف، شوقي:

العصر الإسلامي، القاهرة، دار المعارف، ط١٠، د. ت.

www.mtenback.com

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير:

- تفسيره، المسمّى جامع البيان في تأويل القرآن ، القاهرة، دار الغد العربي، ١٤١٥-١٤١٧هـ/١٩٩٥-١٩٩٦م.

- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ط٤، ١٩٧٩م.

الطرطوشي، محمد بن الوليد بن محمد بن خلف:

سراج الملوك، القاهرة، المحمودية التجارية، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م.

عبد الباقي، محمد فؤاد:

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة، الشعب، د.ت.

عبدالعال، محمد يونس:

المختار من رسائل أبي إسحاق الصابي، «تحقيق ودراسة»، رسالة دكتوراة مخطوطة بمكتبة جامعة القاهرة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

عبده، محمد:

الإسلام دين العلم والمدنية، تحقيق: د. عاطف العراقي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

عنترة بن شداد العبسي:

شرح ديوانه، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

عياد، شكري «و يوسف نوفل»:

عنترة الإنسان والأسطورة، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

www.mtenback.com

الفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب:

القاموس المحيط، القاهرة، الأميرية، ط٣، ١٣٠١-١٣٠٣هـ.

ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم:

عيون الأخبار، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م.

القحطاني، شالح خريزان سفران:

الفروسية في شعر عنترة بن شداد، رسالة ماجستير بكلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٩٨م.

القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد:

تفسيره: المسمّى: الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، دار الغد العربي، ط٥، ١٤٠٩-١٤١١هـ/١٩٨٨-١٩٩٠م.

قطب، سيّد:

السلام العالمي والإسلام، القاهرة، دار الشروق، ط٨، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

قلادة، وليم سليمان، مع حسين أحمدأمين ومحمد المسماري وآخرين:

التسامح الديني والتفاهم بين المعتقدات، القاهرة، الأمانة العامة لاتحاد المحامين العرب، ط١، ١٩٨٦م.

كثير عزة، أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي:

ديوان كثير، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب:

أدب الدنيا والدين، تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة، الحلبي، ط٤، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

www.mtenback.com

مجمع اللغة العربية:

المعجم الوسيط،القاهرة، الإعلانات الشرقية، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد:

تهذيب الأخلاق، القاهرة، طبعة مدرسة والدة عباس باشا، ط ٢، ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م.

ابن المقفّع، أبو محمد عبدالله بن داذويه:

الأدب الكبير، تحقيق: أحمد زكي باشا، القاهرة، مدرسة محمد علي الصناعية، ط١، ١٣٣٠هـ/١٩١٢م.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرّم:

لسان العرب، القاهرة، بولاق، ١٣٠٠-١٣٠٨هـ.

ميتز، آدم:

الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة: محمد عبدالهادي أبو ريدة، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ط٣، ١٣٧٧هـ/١٩٥٥م.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد:

مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة، السعادة، ط٢، ١٩٥٩م.

ابن النديم، محمد بن إسحاق بن محمد:

الفهرست، القاهرة، الرحمانية، ١٣٤٨هـ.

نوفل، عبدالرزاق:

الدعوة إلى الإسلام، القاهرة، مكتبة الوعي العربي، ط١، ١٩٦٥م.

www.mtenback.com

الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى:

جواهر الأدب، القاهرة، التجارية الكبرى، ١٩٦٩م.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري:

السيرة النبوية، قدم لها وعلق عليها وضبطها: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥م.

الوشاء، أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى:

الموشى أو الظرف والظرفاء، تحقيق: كمال مصطفى، القاهرة، الخانجي، ط٢، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م

الوطواط، أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن يحيى بن علي:

غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، القاهرة، الكليّة، ط١، ١٣٣٠هـ /١٩١٢م.

الوقفي، إبراهيم أحمد:

السماحة في الإسلام والمسيحية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٠م.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com